ديوان عابر سبيل

عباس محمود العقاد



ديوان عابر سبيل

ديوان عابر سبيل

تأليف
عباس محمود العقاد



ديوان عابر سبيل

عباس محمود العقاد

رقم إيداع ١٩٩٢٩ / ٢٠١٣
تدمك: ٣ ٤٨٥ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + **فاكس:** ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

المحتويات

الموضوعات الشعرية

كلمة: «أنا حاضرة» إذا كتبتها معشوقة إلى عاشق، حملت إليه من الفرحة والشوق، وأشاعت في نفسه من الأمل واللذة ما تضيق عنه أشعار العبقريين ورسائل البلغاء، وهي تُعدُّ من أتفه الجمل، التي يتألف منها الكلام المركب المفيد، وليس في وُسْعِ تلميذ يتدرب على تأليف الجمل من مبتدأ وخبر أن يأتي بأتفه منها في الكلام.

وقد يدخل القادم الطارئ إلى مجلس، فيُلقي فيه بكلمتين اثنتين هما: «فلان يحترق»، ويكون في المجلس أبو فلان هذا وصديق له، وإنسان لا يعرفه، وعدو من أعدائه، وآخرون يعرفونه بالقالة الحسنة، وآخرون يعرفونه بالقالة السيئة؛ ثم تنظر إلى صدى الكلمتين في نفوس أولئك الجلساء؛ فإذا هو مختلف أشد اختلاف: هذا يَثِبُ معولًا، وهذا يجري مهرولًا، وذلك يسمع ويكاد لا يشعر بشيء، وإلى جانبه من يسمع ويبتسم، ومعهم من يأسفون وهم يسمعون، ومعهم أيضًا من لا يأسفون وكأنهم لا يسمعون. وإنما اختلف شعورهم بفلان هذا الذي يحترق؛ فاختلف معنى الكلمتين، وأثر هذا المعنى حسبما اختلف الشعور.

والجائع السليم يَزْدَرِدُ الرغيف القفار، يحس في أكله من اللذة والاشتهاء ما لا يحسه مَنْ يجلس إلى المائدة الفاخرة وهو متخوم أو ممعود؛ وإنما اختلفت الرغبة، واختلف الاشتهاء، فاختلف الذوق والشعور.

إن إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة، ويبث فيه الروح، ويجعله معنًى «شعريًّا» تهتز له النفس، أو معنى زَرِيًّا تصدف عنه الأنظار، وتعرض عنه الأسماع، وكل شيء فيه شِعْر إذا كانت فينا حياة، أو كان فينا نحوه شعور.

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هي موضوعات الشِّعْر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال، وإنما النفس التي لا تستخرج الشِّعْر إلا من هذه

الموضوعات، كالجسم الذي لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المُتَخَيَّر المستحضر، أو كالمُعْدَم الذي يظن أن المُتْرَفِين لا يأكلون إلا العسل والباقلاء!

كل ما نخلع عليه من إحساسنا، ونفيض عليه من خيالنا، ونتخلله بوعينا، ونبث فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا — هو شعر وموضوع للشعر؛ لأنه حياة وموضوع للحياة.

وإن التصور لهُوَ خير مِعْوَان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور.

فإن الأم التي تنظر إلى طفلها الوليد، ثم تقضي عشرين سنة وهي تتصوره عريسًا سعيدًا، لا تفرح به يوم عرسه، كما تفرح بتصوره والرجاء في بقائه طوال تلك السنين، فإنما من نسج التصور نخلق الحُلل النفيسة التي نُضيفها على آمال الغيب ومشاهد العيان.

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور، نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسُّه الأذواق، ولنتوجه بالحواس الراغبة إلى ما نشاء، نستمرئ الشعور به والتعبير عنه، كما نستمرئ المحاسن المشهورة والمناظر المأثورة؛ لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها، ولن تحل عقدة من ألسنتا؛ حتى يزينها لنا الحِّسُ الناشط والخيال المتوفز، وإن أجمل وجه ليَمُرُّ بنا في ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم العجوز التي نراها صباح مساء.

وعلى هذا الوجه يرى «عابر السبيل» شِعْرًا في كل مكان إذا أراد: يراه في البيت الذي يسكنه، وفي الطريق الذي يعبُره كل يوم، وفي الدكاكين المعروضة، وفي السيارة التي تُحْسَب من أدوات المعيشة اليومية، ولا تُحسب من دواعي الفن والتخيل؛ لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور، صالح للتعبير، واجد عند التعبير عنه صدًى مجيبًا في خواطر الناس.

وعندي أننا في حاجة — نحن أبناء العصر الحاضر — إلى هذا التوجيه؛ لإنقاذ النفس الإنسانية لا لإنقاذ المَلَكَة الفنية وحدها، فإننا إذا تعودنا العناية بالأشياء؛ وجدنا فيها ما يستحق العناية، وينفض عن النفس تلك التفاهة، التي غلبت على الحياة وعلى الشعر والفن في هذه الأيام الحديثة.

ومن الواضح أن التفاهة إنما تغلب على النفس وعلى الشعر لسببين: أحدهما: أن أبناء هذا العصر — ولا سيما في أوربا — فقدوا الإيمان بالمثل العليا والعقائد الراسخة

والفضائل الروحية، وفَتَرَتْ نفوسهم من هذه الناحية؛ فلا يصغون إلى الشاعر الذي يَتغنَّى لهم بهذه المعاني المهجورة، ولا يظنون أن هناك أحدًا يصدقها أو يغتر بدعواها، ومَنْ حَدَّثَهم في أغراضها التفتوا إليه ساخرين مُسْتَرِيبِين، كمَنْ يلتفت إلى محتال يحاول أن يمد يديه إلى كيس نقوده، وإن كثيرًا من الشعراء والكتاب ليصطنعون «التفاهة» اصطناعًا؛ ليدفعوا عنهم رِيبَة الاحتيال، ويظهروا للناس أنهم أفلتوا من أوهاق هذه الخديعة.

والسبب الآخر الذي وَسَمَ الشعر الأوربي الحديث بسمة «التفاهة» هو «آداب الصالونات» الشائعة، واعتبار الجمهرة الغالبة من الشعراء والكتاب أن العلاقة بين الشاعر وقارئه كالعلاقة بين جلساء «الصالون» أو جلساء الفراغ، الذين لا يتحدث الواحد منهم إلى صاحبه إلا فيما لا يهم، ولا يثير الخاطر ولا ينفذ إلى ما وراء الظواهر؛ فلا تكون العلاقة بين جلساء الصالون علاقة معلم وتلميذ، أو علاقة صفيين يتكاشفان بلواعج الضمير وهموم السريرة، ولا يُعَدُّ من الذوق عندهم أن يخرج الإنسان من الثرثرة العامة إلى الدخائل الخاصة والشواغل المطوية.

ولقد كان التهجم العصري خليقًا أن يقضي على آداب الصالونات، كما يقضي «السبورتسمان» على «الجنتلمان»، لولا أننا في عصر تفككت فيه روابط المجتمع، وضعفت الأواصر الإنسانية التي قدستها الأمم الماضية زمنًا طويلًا؛ فجاء التهجم العصري مقرونًا بالأنانية، التي لا يشغلها شاغل من الدنيا غير: إشباع اللذة، وقضاء اللحظة العابرة، والإعراض عما وراء ذلك من الأحاديث والتَّعِلَّات، فلا فرق إذن بين أَحْلَاس «الصالونات» الذين يتكلمون فيما لا يهم؛ مُجَارَاةً للعُرْف والكياسة، وبين المتهجمين العصريين الذين يتكلمون فيما لا يهم؛ لأنهم لا يهتمون، ولا يحبون أن يهتموا؛ والتفاهة من ثَمَّ غالبة على هؤلاء وهؤلاء.

فإذا تعودنا أن نشعر بما حولنا حقَّ الشعور، وأن نخلع على اليوم الحاضر ما كنا نخلعه على الزمن الماضي من سرابيل الجمال والخيال؛ استطعنا أن نقشع عن أبصارنا غشاوة الماضي، دون أن نجعل التفاهة نتيجة لازمةً لانقشاع تلك الغشاوة.

فإن كنا لا نُصدِّق بواق الواق، فلنصدق بالبيوت، وإن كنا لا نصدق بالأبطال، فلنصدق بالرجال، وإن كنا لا نصدق بالحب النادر، فلنصدق بالحب الشائع، وإن كنا لا نحلم فلنشعر، أو كنا لا نجعل الحلم واقعًا، فلنجعل الواقع حلمًا، ونحن غير مخدوعين ولا سائمين.

لماذا يكون الحاضر وقفًا على خرافات الماضي أو على أحلامه وأمانيه؟ إن زهرة هذا الربيع لا تنضر؛ لأن زهرة نضرت قبل ألف عام، وإن الإنسان ليستطيع أن يحيا اليوم

وأن يشعر بالدنيا؛ لأنه تحت الشمس وفوق الأرض وبين الناس، وإن كان لا يحب الدنيا للمزايا الصحيحة أو المكذوبة التي أَحَبَّها من أجلها أسلافه وسابقوه.

تلك رسالة هذا الديوان الجديد «عابر سبيل»، وهو اسم يدل على مرماه، ولستُ أقول إنه أدَّى هذه الرسالة، ولكني أرجو أن يقنع القُرَّاء بأنها رسالة قابلة للأداء.

عباس محمود العقاد

الموضوعات

بيت يتكلم

كل بيت من البيوت التي تَعَاقب عليها السكان لو ألقيتَ عليه طَلْسَم الخيال، وأمرتَه بالكلام فتكلم؛ لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان، ولسمعت عجبًا لا تسمع الآذن أعجب منه، وليس الذي يتحدث به «البيت» في القصيدة التالية إلا قليلًا من كثير:

جميع الناس سكاني	فهل تدرون عنواني؟
وما للناس من سرٍّ	عدا آذان حيطاني
حديثي عَجبٌ فيه	خفايا الإنس والجانِ
فكم قضَّيت أيامي	بأفراح وأحزانِ!
وكم آويت من بَرٍّ	وكم آويت من جانِ!
فإن أرضاكم سري	فهاكم بعض إعلاني

* * *

بني الإنسان لن أحفـ	ـل في دهري بإنسانِ
ألم أعرفكمُ طرًّا	فلم أسعد بعرفاني؟

أتـانـي أول الـسـكْـن[1] وما استوفيتُ بنياني
ومـا أرهـفـت آذانًـا ولـم آنَـسْ بـقُـطَّـانِ
وأصغيت على مهل فطاشت كل آذاني
هما زوجان، أو شيطا نـة لاذت بـشـيـطـانِ
وقد عاشا وفيين بتقدير وحسبانِ
وراحا — هكذا يحكو ن — في رَوْح وريحانِ
وما أبصرتُ من هذا ولا من تلك في آنِ
سوى خَوَّانة خرقا ء تفري عرض خَوَّانِ
إذا ما ضحكا يومًا على غش وبهتانِ
حسدت البيد والأطلا ل في غيظي وكتماني
وأشفقت من النقمـ ـة أن تهتز أركاني

* * *

وجاء الساكن الثاني وبئس الساكن الثاني
يراه الناس ذا مال وأفراس وغيطانِ
وقد شوهني بخلًا وأعراني وأعياني
وقد صيرني سجنًا ومنه كان سجاني
فلما طال بي عهدًا ولم أسعد بهجرانِ
وددت لوَ انَّ لي في كل جُحْر ألف ثعبانِ
بديلًا منه أرضاه وأحبوه بغفراني
وأنفث سمها أو يتـ ـقي شري ويخشاني
إلى أن آده[2] أجري ولم يظفر بنقصانِ
فأخلاني ولن أنسى سروري يوم أخلاني

* * *

[1] السكان.

[2] أثقله.

وكان الساكن الثالــ   ــث ذا عز وسلطانِ
فما ارتبتُ بأن العــ   ــز والذلة سيانِ
وما ألفيته إلا   لئيمًا جد غفلانِ
ضعيفًا يستر الضعف   بطغيان وعدوانِ
وكم أَذْعَن للطاغي   عليه شر إذعانِ
إذا ما لقي الناس   بكبر منه طنَّانِ
فما أصغر ما ألقا   ه منه بين جدراني

* * *

وأما رابع القوم   فذو علم وتبيانِ
حشا بالورق اليابــ   ــس والأخضر حيشاني
فما لي موضع في الأر   ض أو من فوق عمدانِ
وما لي مطبخ أو مخــ   ــدع أو بهو ضيفانِ
ولا زاوية إلا   وفيها الكتب تلقاني
أَبَى للنفس دعواها   ولم يسمع لجثمانِ
فلا سهرة أحباب   ولا جلسة ندمانِ
فما أجهله بالخلــ   ــق ذاك العالم العاني!
أَبَيْنَ الناس يُحْتَاج   إلى علم وبرهانِ؟
وهم عِمْيَان ظلماء   سَرَوا في إِثْر عميانِ؟
كثير لك يا إنسا   ن في دنياك عينانِ!

* * *

وأما الخامس الجاني   فناهيك بشهوانِ
فما زَوَّدني إلا   بأثداء وأعكانِ
وهُتَّاف بألحان   وسُمَّار على الحانِ
إذا أمسيتُ مساني   بأشكال وألوانِ
على الأبواب ما يرضيــ   ــك من حسن وإحسانِ
ومن صون لأسماع   ومن غض لأجفانِ

فلا تنظرهمُ ثَمَّـ ـة وانظر بين أحضاني
فيا لله كم في الأر ض من غي وغيانِ
وكم في القوم من مخدو ع آباء وإخوانِ
وأزواج وأصهار وخلان وأخدانِ
لوَ انِّي قلت ما أدري لهدوا كل أركاني
فنعم الصمت والحكمـ ـة يا صخري وصواني!

* * *

وكم صاحبتُ من أصحا ب آداب وأديانِ
تجافوا وصمة العاصي وعافوا شهوة الزاني
وباتوا بين قربان وترتيل لقرآنِ
ولم يأسوا من الدنيا على غَبْن وحرمانِ
إذا ما شرفَتْني زمـ ـرة منهم بصحبانِ
حسبت الأرض تجفوني فأنساها وتنساني
وقالوا الجان لا تقر ب من مجلس فرقانِ
فقد ألفيتُ بعض الإنـ ـس في العنصر كالجانِ
ولكن شر ما آويـ ـت في لؤم وعصيانِ
رياء الخائن العادي على أهل وأوطانِ
تَلَقَّاهم بتمويه ولاقوه بإيمانِ
وفي حجرة أسراري وفي ظلمة أركاني
يبيع الحوزة الكبرى بربع أو ببستانِ
ويعطي الحق والذمـ ـة والفُتيا بأثمانِ
ويُفني أمة تحييـ ـه وهو الزائل الفاني
ويمشي بين قتلاه رفيع الذكر والشانِ

* * *

ولم أحمد من الضيفا ن ضيفًا مثل فنَّانِ
تولاني بإبداع من الفن وإتقانِ

وغـطـى كـل جـدرانـي   بـمـنـظـور ومُـزْدَانِ
وأوحى الحسن واستوحا   ه من جنات رضوانِ
فحينًا حسن مكسوًّ   وحينًا حسن عريانِ
بريئًا في سماء الفـ   ـن من عبث وأَدْرَانِ
وفَتَّانًا على الحاليـ   ـن لكن أي فَتَّانِ
كما تفتنك الزهر   ة في أعطاف أغصانِ

* * *

جموعٌ لست أُحْصِيهَا   ولو دونتُ ديواني
ومثلي كل جاراتي   ومثلي كل جيراني
عرفتُ الناس أشتاتًا   بلا عدٍّ وحسبانِ
فلم أعرف أأعداء   هم أم جمع أقرانِ؟
إذا ما اختلفوا في سيـ   ـمة تبدو وشغلانِ
فهم في الموت أشباهٌ   وفي سقم وأشجانِ
وما منهم فتى إلا   بكى حينًا وأبكاني
مساكين فلا تحفل   من الناس بإنسانِ
ولا تحسد فتى منهم   على بأس وإمكانِ
فأعلاهم وأدناهم   أمام الغيب صِنْوَانِ

* * *

نزيل المنزل الخالي   ألا تعرف عنواني؟
إذا ما طفتَ حوليه   فثق أنك تلقاني
فما من منزل إلا   وفيه بعض ألواني
تأمل في نواحيه   وراقبه بإمعانِ
ولا يخدعك صمت فيـ   ـه أو تفتيح بيبانِ
ولا تحسبه خِلْوًا من   مغاليق وأكنانِ
إذا ما كانت مستحضـ   ـر أراوح وحدثانِ
فقف في المنزل الخالي   وأَرْهِفْ سَمْعَ يقظانِ

وأغمض فيه أجفانـــك وانظر غير وَسْنَانِ
ترَ الأطياف أفواجًا وتسمع موج طوفانِ
وتجمع كل ما يُجمـــع من ربح وخسرانِ
ولا يخطئك تاريخ ولا دارس أزمـــــانِ

أمام قفص الجيبون في حديقة الحيوان

القرود العليا هي: «الشمبانزي»، و«الأرانغ أتانغ»، و«الغورلا»، و«الجيبون» وهو فرع وحده في رأي كثير من النشوئيين؛ لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف.

ومن هذه القرود العليا ما يصلح — من الوجهة الشِّعْرية — أبًا للفلاسفة والحكماء، وهو «الشمبانزي»؛ لتأمله وسكونه واشمئزازه من الحياة!

ومنها ما يصلح أبًا لرجال المطامع والوقائع، وهو «الغورلا» لبطشه وهياجه وقوة عضله.

ولكن «الجيبون» وحده هو الذي يصلح من الوجهة الشعرية أبًا للفنانين والراقصين؛ لأنه لعوب طروب، رشيق الحركة خفيف الوثوب، يقضي الكثير من أوقاته في الرقص والمناوشة، ويحب أن يعرض للناس ألاعيبه وبدواته، وإذا صعد أو هبط في مثل لمح البصر فإنما يصعد ويهبط في حركات موزونة متعادلة، كأنما يوقعها على أنغام موسيقية لا تخطئ في مساواة الوقت ولا في مضاهاة المسافة، فإذا شَهِدْتَه فاسأل نفسك: ما بال هذا القافز الماهر قد وقف حيث هو في «سلم الرقي»، ولم يأت على درجات السلم كلها صعودًا ووثبًا في بضعة ملايين من السنين؟!

هذا سؤال، وسؤال آخر تعود فتسأله: ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد؟ الطعام المطبوخ؟! هو يأكل طعامه الآن نيئًا وذلك أنفع، أو يأكله مطبوخًا على يد غيره، وذلك أدنى إلى الراحة!

أو يفيد العلم؟ قصاراه إذن أن يقول: «لست أدري»، كما يقولها الإنسان كلما واجه معضلات الوجود.

أو يفيد وزن الشعر؟ هو الآن يزن الحركة كما توزن التفاعيل والأعاريض، وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن رشاقة الوثب ورقصات اللعب؛ لتستعيض منها بترقيص الكلمات وتوقيع المعاني وهو قاعد حسير!

أمام قفص الجيبون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات:

أيُّهذا الجيبون أَنْعِمْ سلامًا يا أبا العبقري والبهلوان
كيف يرضى لك البنون مقاما مُزْرِيًا في حديقة الحيوان؟

* * *

العب الآن وانتظر بعد حقْبا ترقَ في «سلم الرقي» وتعلُ
كيف لم تصعد السلالم وثبًا أيها الصاعد الذي لا يملُ

* * *

يا عميد الفنون صبرًا ومهلًا وارضَ حظ الهتاف والتهليل
مرحبًا مرحبًا وأهلًا وسهلًا والهدايا ما بين لب وفول

* * *

انتظر يا صديق شيئًا فشيئًا تطبخ القوت كله بيديكا
غير إني إخال ما كان نيئًا منه أجدى في الحالتين عليكا

* * *

انتظرْ يا صديق مليون عام أو ملايين لستُ والله أدري
إن تدانيتَ بعدها من مقامي فقُصَارى المطاف أن لستَ تدري

* * *

واصطبرْ إن عناك نثر ونظم سوف تتلو نثرًا وتنظم شعرًا
وغدًا يطفر الخيال ويسمو والذراعان لا تطيقان طفرًا

* * *

وجمال الوجوه سوف تراه في المرايا بعد الطواف الطويلِ
سوف تحلو في ناظريك حلاه فتَهيَّأْ للضم والتقبيلِ!

* * *

وإذا مـا درسـتَ أوزان رقـص   بعد لأي فالرقص فيك انطباعُ
هل تنال الكمال من بعد نقص   إن أَقَـلَّـتْـك فـكـرة لا ذراعُ

* * *

قـفـصٌ أنـت فـيـه أرحـب جـدًّا   من فـضـاء نُقيم فيه أُسَـارَى
قد ضللنا فيه وهيهات نُهْدَى   ونـجـوم الـسـمـاء فـيـه حَـيَـارَى

* * *

انتظرْ سوف تفهم الشيء باسمٍ   بـعـد رسـمٍ وغـابـر بـعـد حـالِ
فـإذا مـا طـلـبـتَ بـاطـن فـهـمٍ   يـا صـديـقـي طـلـبتَ أي مـحـالِ

* * *

أين بـالأمـس كـنـتَ يـوم ابـتـدأنـا   والـتـقـيـنـا بـآدم فـي الـطـريـقِ
قـد بـلـغـنـا فـأيـن تـبـلـغ أيـنـا   حين تمضي وراءنا يا صديقي؟!

* * *

الهُ والعب واضحك كما شئتَ منا   أنت طفل الزمان والطفل غِرٌّ
سوف تبكي حزنًا وتضحك حزنًا   حين يمضي دهر ويقبل دهرٌ

عتب على الجيبون

ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة، وقصدوا إلى قفص «الجيبون»؛ فإذا هو في تلك الساعة كاسف البال صادِف «المزاج» عن الرقص واللعب؛ فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة، كأنه هو الذي يعرض الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل ألاعيبه، وفي الأبيات التالية رجاء لذلك الفنان ألا يُكذِّب شهادته، ولا يخيب ظنون الأدباء في مدحه وتقريظه:

أيـهـا الـجـيـبـون لا تـفــ   ـضح تقاريظي وشكرِي
أنت بعد الـيـوم مـحـسـو   ب عـلـى نـقـدي وشِـعْـرِي

أنت إن لم تحسن الرقـ ـص فمن يحسن عُذْرِي؟
أنت إن قصرتَ قالوا شاعر بالزور يُطْرِي
ما لذا العقاد والتقريـ ـد و«التقريظ» يُغْرِي
إنه يهرف بالمد ح ولكن ليس يَدْرِي
فاملأ الأقفاص يا جيـ ـبون طفرًا أي طَفْرِ
وقل: العقاد لا يخـ ـطئ في تعريف قدرِ

قِرْشٌ مَعْقُوْل

إن أحبوا القرش لم يجدوا عجبًا في حبه الخطرِ
فإذا ما الطفل هام به جعلوه طرفة السمرِ
يا محبي القرش وَيْحَكُم هل سمعتم أصدق الخبرِ؟
هل علمتم في طرائفكم أي قرش بالهيام حرِ؟
ذاك قرش الطفل نضحك من حبه إياه في الصغرِ
وهو أولى من قروشكم كلها بالحب والسهرِ
هو «حقٌّ» عنده جَلَل حاضر الميعاد والأثرِ
ثمن الحلوى يَلذُّ بها وجمال الحسن والنظرِ
وأفانين الملاعب لم تخلُ من نفعٍ ومن ثمرِ
وهو وَهْمٌ في خزائنكم وخيال كاذب الوطرِ
وسجين ثم مُدَّخَر لرجاء غير مدخرِ
لا تعيبوا الطفل وانتفعوا منه بالآيات والعِبَرِ
الحياة الحق ناضرة فاقطفوا من غصنها النضرِ

وَجْهَات الدكاكين

هَذِي المطارف صفِّفتْ عجبًا فانظرْ وراء ستارها عجبا
كم منظر تجلوه مبتعدًا أو منظر تجلوه مقتربا
إن الدكاكين التي عرضتْ تلك المطارف تعرض النُّوبا
تحكي الفواجع كلهن لنا صدقًا ولا تحكي لنا كذبا
هذا الستار فنحِّ جانبه تجد القضاء يهيئ اللعبا

***

انظرْ إلى النَسَّاج منحنيًا يَطوي بياض نهاره دأبا
وانظر إلى السمسار مقتصدًا أو طامعًا في الربح مُغتصبا
وانظر إلى التجار ما عرفوا غير النضار وَعُدَّهُ تعبا
وانظر ترَ الشارين قد سمحوا بالمال يَقطر من دم صببا
وانظر ترَ الحسناء لابسة لم تلتمس غير الهوى أَرَبَا
لو تعرف الحسناء ما صنعت شقتْ جيوب ردائها رَهَبَا

***

هذا زمان العرض فانتظروا عرضًا يرينا الويل والحربا
بَهَرَ النفوس بكل ظاهرة وطوى جمال النفس محتجبا
فالويل للعين التي امتلأت والويل للقلب الذي نضبا

أصداء الشارع

بنو جِرْجا ينادون على تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألو ك تَعْرِيبًا وتتريكا
وبتراكي إلى الجُودِ على الإسلام يدعوكا
وفي كَفَّيْه أوراق بكسب المال تُغريكا

وأقـزامُ مـن الـيـابـا ن بالفصحى تُحيِّيكا
وإن لا تكُنِ الفصحى فـبـالإيـمـاء تـغـنـيـكـا
قـريـبٌ كـلـهـا الـدنـيـا كرَجْعِ الصوت من فِيكَا
دعـا الـداعـي فَـلَـبَّـوْه طـغـاةً أو صـعـالـيـكـا
إذا نـاديـتَ يـا دِيـنَـا رُ مـن ذا لا يـلـبـيـكـا
فما في الناس هاذاك ولا في الأرض هاتيكا

عصر السرعة (١)

طار في الذُّرَى هام في السهول
مُسرع الخُطَىْ حـيـثـمـا يـجـول
مـا لـه عَـدَا عـدوةَ الـوعـول
مـا لـه سـطـا سطوةَ السيول
فـي صـعـوده يـشـبـه الـنـزول

طَيْفٌ من حديد

الطيف أدخلُ شيء في باب الشعر والأحلام.

والسيارة أدخلُ شيء في باب الصناعة والحركة اليومية.

ولكن السيارة قد تتسرب بحديدها وضوضائها إلى عالم الأحلام إذا نظرت إليها في حالة من الحالات.

وإلا فما هو الطيف؟!

هو شيء يُرى ولا يُلمس، وشيء يتحرك ولا يُسمع لحركته صدى، وشيء يُحيط به البعد والظلام.

فانظر إلى سيارة يَسري مصباحها على البعد في ليلة مظلمة، وأنت ترى الطيف الذي يتحرك ولا يُسمع حراكه، وتلمحه ولا تكاد تتثبت من مرآه.

ذاك بُـعـدٌ وانـسـيـاب   وظــلام وانــســجــام
أي شـيء ثَـم يجري؟   هــو طـيـفٌ لا كـلام

* * *

أي شـيء ذاك إلا الــ   ـطَّيْف يَسري في منام
يَطرق العـين وهيــ   ـهات[3] بالسمع يُرَام

* * *

تـلــك ســرعــة الــ   ــهــارب الــعَــجــول
تـلــك ســرعــة الــ   ــحــائــر الــمَــلُــول
تـلــك ســرعــة الــ   آثــم الــخــجــول
أيــن ســرعــة الــ   ــسَّـعْـي والـوصـول

عصر السرعة (٢)

طاروا وداروا مسرعين في الثرى   يركب منهم رأسه من ركبا
لو لم يكن هذا الزمان آفةً   ما اتخذوا السرعة منه مهربا

عسكري المرور

متحكمٌ في الراكبين   وما له أبدًا ركوبة
لهم المَثُوبَة من بَنَا   نك حين تأمر والعقوبة
مُرْ ما بدا لك في الطريـ   ـق ورُضْ على مهل شعوبه

---

[3] هيهات، أي: بَعُدَ جدًّا.

أنـــا ثـــائـــر أبـــدًا ومـــا   في ثـورتـي أبـدًا صـعـوبـة
أنـا راكـب رِجْـلِـي فـلا   أمـرٌ عـلـيَّ ولا ضـريـبـة
وكـــذاك راكـــب رأســـه   في هـذه الـدنيا الـعـجيبة

* * *

هـو طـيـف مـن حـديـد   هـو طـيـف مـن ضِـرام
هـــو ســـيـــارة ركـــب   خـــطـــرت فـــوق رَغَـــام
ظـهـرت، غـابـت، تـوارت   غـيـر مـصـبـاح يُـشـام
وأراهـــا نـــقَّـــلَـــتْـــنِـــي   وهـــي لـــلـــنـــقـــل لـــزام
سـهـوة مـن عـالـم الـيقـــ   ــظـى إلـى دنـيـا الـنـيـام

الفنادق (١)

فـنـادق تـشـبـه الـدنـيـا لِـقَـاءً   وتـفـرقـةً وإن قَـصُـر الـمـقـامُ
تقول لكل من وفدوا عليها   بـأن الـعـيـش نـهـب واغـتـنـامُ
فمن تلقاه في يوم صباحًا   تـفـارقـه إذا جـنَّ الـظـلامُ
ورُبَّ عصية في الحب باتت   وأقـرب مـن بـدايـتـهـا الـخـتـامُ
تقول لقلبها ما الحب إلا   أمـان حـيـث يـزدحـم الـزحـامُ
فـلا سـر هـنـالـك مـسـتـبـاح   ولا شـوق هـنـالـك أو غـرامُ

* * *

منازل كل ما فيها انسجام!   منازل كل ما فيها انقسامُ!
بـنـوهـا أسـرةٌ مـا شـذَّ فـيـهـا   مـقـام أو مـنـام أو طـعـامُ
وما افترقت شعوب الأرض يومًا   كما افترقوا إذا انصرفوا وهاموا
فـفـيـهـم يَـافِـثٌ حـيـنًـا وشـيـثٌ   وفـيـهـم تـارة حـامٌ وسـامُ

الفنادق (٢)

حَسبُ الفنادق أن تذكرنا مرَّ الفَنَاء بكل من يحيا
تبدو الوجوه لعين عابرها وتغيب عنه كأنها رؤيا
في كل توديع وتفرقة شيء من التوديع للدنيا

بعد صلاة الجمعة

على الوجوه سِيمَةُ القلوب فانظر إلى المسجد من قريبِ
وقِفْ لديه وَقْفَةَ اللبيب في ظُهْر يوم الجمعة المحبوبِ
إنك في حشد هنا عجيبِ

* * *

هذا الذي يمشي ألا تراه كأنما قد حملت يداهُ
سفتجة[4] صاحبها الإله ذاك هو الدَّيْن وقد وفاهُ
فليس للدائن بالمطلوب

* * *

وذلك المبتسم الرصين كأنه بسِرِّه ضنينُ
أصغى إليه سامع أمين فَهْو إذا صلى كمن يكونُ
في خَلْوَة النجوى مع الحبيب

* * *

وانظر إلى صاحبنا المختال في حُلَّة ضافية الأذيال

[4] السفتجة: هي ورقة التحويل المالي.

أكان في حضرة ذي الجلال   أم كان في عرض أو احتفال
يُزهى على المحروم والمسلوب

* * *

وكم مُصَلٍّ خافِت الدعاء   كأنما نصَّ إلى السماءِ
رسالة في عالم الخفاء   فلا يني يبدو لعين الرائي
كالمترجِّي أوبة المكتوب

* * *

ورُبَّ شيخ من ذوي الخَلَاقِ[٥]   فرحان بالجمع وبالتلاقي
كأنه التلميذ في انطلاقِ   بين تلاميذ له رفاقِ
عادوا إليه عودة الغريبِ

* * *

تجمعوا في بيته تعالى   وافترقوا في جمعهم أحوالا
وهل نسوا في أرضه النضالا   فيحتويهم بيته أمثالا
على اختلاف السَمْت والنصيبِ

* * *

لعلهم صلوا له ارتجالا   فاختلفوا ما بينهم سؤالا
فلو أجاب السائلين حالا   صب على رءوسهم وَبَالا
وألحق المخطئ بالمصيبِ

---

[٥] الخير الوافر.

قطار عابر

نامت القرية وانساب القطار   هو في موعده بين الديار
يعرف الساعة لا يخطئها   هكذا الجنة في وقت المزار
رُبَّ سارٍ بات في أركانه   ودَّ لو يَسبق سبَّاق البخار
يحسب الهَمَّ الذي همَّ به   دارت الأرض عليه حيث دار
ودَّ لو يسأل هاتيك القرى   ما لقوم لم يسيروا حيث سار
وهو والركب الذي من حوله   في اشتياق وانطلاق وانتظار
عند من يُدلج في تلك القرى   صور منسية في اسم القطار
كل ما يبقى له من ذكره   ضَجَّة من حولها ثار غبار

* * *

فتش الأسماء عن أسرارها   واسأل الأحرف عما في القرار
تجد «الأرصاد» حقًّا ماثلًا   وَهْي في الماضي ضلال وصَغار

صورة الحي في الأُذُن

مثل الحي في معالم سمعٍ   كالتي لا تزال للعين تظهرْ
من وراء الجدار والعين وَسْنَى   معرض الحي في سجل مُصَوَّرْ
كل صوت يطيف بالسمع منه   ثابت في «اسطوانة» تتكررْ
دارج بعد دارج وحديث   يخفت الهمس فيه حينًا ويجهرْ
ومغنٍّ إذا تَغَنَّى رويدًا   قطَّع الصوت بالسلام وصفَّرْ
وأقاويل لست تعلم منها   غير أصدائها التي لا تغيرْ
ومنادٍ بما يبيع وحيدٌ   خالَسَ الرفقة النيام وبكَّرْ
وبشير الدجاج صاح فلَبَّا   ه نظير غلا فصال فأنذرْ
ودواليب خلتها وهي تسعى   خرجت في نعاسها تتعثرْ

حُـلَّـة بـعـد حُـلَّـة تـتـراءى   في صداها ومعشر بعد معشرْ
إنـه مـنـظـر يـفـصـلـه الـــ   ـسَّمع ويا رُبَّ مسمع فيه منظرْ

الدينار في طريقه المرسوم

لـمـا بَـدَا الـديـنـار مـن   باب الخزانة في السماء
نـادى الـموكَّل ثَمَّ بالــ   أرزاق أين ترى الثواء؟
قال: انطلق في الخافقيــ   ــن إلى فتى جمِّ الشقاء
قد بات ممنوع الغذا   ء وراح مقطوع الكساء
فـاذهـب إلـيـه ومَـنِّـهِ   بعض السعادة والرجاء

* * *

فـأجـابـه الـديـنـار وهـْـ   ــو يكاد يجهش بالبكاء
أنـا لست أعرفه فدعــ   ــني أستطيب هنا البقاء
سيطول بحثي عنه في   وادي الخمول ولا لقاء

* * *

قـال الـموكَّل ثَمَّ بالــ   أرزاق حسبك من رياء
لن يألف المال الفقيــ   ــرَ ولن يحيد عن الثراء
ما شئت يا دينار فامــ   ــضِ كما تشاء لمن تشاء
فاستقبل الدينارُ وجـ   ــهته وهَـمَّ بلا ونـاء
ومضى إلى حيث المعا   لم واضحات والضياء
حـيث الـدنـانـير الـسوا   بق قد رسمن له الفضاء
ليس الطريق على اقتحا   م كالطريق على اهتداء

المَصْرِف «البنك»

شِـــبْـــرَان مـــن ذاك الـــبـــنـــاء
بيني وبين المال والدنيا العريضة والثراء
لـــيـــســـت بـــأقـــصـــى فـــي الـــرجـــاء
من حفرة المدفون في شبرين في جوف العراء
كلا! ولا أدنى على قرب المزار لمن يشاء
أعـــرفـــت آمـــاد الـــســـمـــاء؟!

* * *

فـــي سِـــكَّـــتـــي أبـــدًا ومـــا
من سكة أبدًا إليه، ولست أُلغز عندما
أصـــف الـــطـــريـــق أو الـــحـــمـــى
انظر بعينيك البناء سما وطال وأظلما
واسأل: أهذا مصرفٌ ملئوا جوانبه دما؟!
تـــجـــد الـــصـــواب مـــجـــســـمـــا

* * *

فـــيـــه دم لا شـــك فـــيـــه
في كل طِرْس أو كتاب أو سجل يحتويه
ودم الـــمـــقـــتـــر والـــســـفـــيـــه
يجري هناك وأنت تحسبه من الورق الرفيه
تغليه كالدم في العروق سرى وكالدم نتقيه
وسَـــل الـــمُـــدَلِّـــس والـــنـــزيـــه!

* * *

سَـــلْـــنِـــي فـــلـــم أكُ طـــالـــبًـــا
ورقًا هناك على الرفوف أنال منه جانبًا

وأعــــد مــــنــــه حــــاســـبًــا
إلا لأوراق أراهــا قــارئًــا أو كــاتــبًــا
ولما تجيش به الخواطر حاضرًا أو غائبًا
ودع الـــحــــســـود الـــغـــاضـــبـــا

كَوَّاء الثياب ليلة الأحد

لا تَـنَـمْ لا تَـنَـمْ   إنــهــم ســاهــرون
سهروا في الظُّلَم   أو غفوا يحلمون
أنت فيهمُ حكم   وهــمُ يــنــظــرون
في غد يلبسون!   في غد يمرحون

* * *

كم إهاب صقيل   يا له من أهاب
وقَــوَام نــبــيــل   في انتظار الثياب
وحبيب جميل   يزدهي بالشباب
كلهم يحلمون!   في غد يلبسون

* * *

أسلَموك الحُلَلَ   كالربيع الجديد
في احمرار الخجل   أو صفاء النهود
تُشتهى بالقُبل   لا بمسِّ الحديد
يا لها من فنون   بهجة للعيون!

* * *

طُويت كالعجين   فاطوِ فيها الجمال
لمسة باليمين   عطفة بالشمال

والـعـجـيـن الـثَّـمـيـن   في استواء «المثال»
فيه ماست غصون   من جناها الجنون

* * *

زِدْ نصيب الحبيب   من هوى وابتسام
بالكساء القشيب   رفَّ حول القوام
لك فيهم نصيب   غير كيّ الغرام
عند برح الشجون   هُمْ هُمُ المكتوون

* * *

الضرام اتَّقَد   في المكاوي الشداد
هل خبا أو برد   أو علاه الرماد؟
ذاك يوم الأحد   أين منك الرقاد؟!
إن قضيت الديون   كل نار تهون

* * *

أنا مُصْغٍ إليك   في الظلام الطويل
سامع من يديك   كل ضرب ثقيل
ناظر موقديك   منذ غاب الأصيل
بين غمض الجفون   واطِّراد السكون

* * *

يا أخا الفن لا   تَدْعُها بالثياب
وارقَ منها إلى   ما احتوت من شباب
وجمالٍ حلا   وحياة عجاب
وتفلسف على   ما احتوت من رقون[6]

[6] الترقين: التزيين، والرقون: الخضاب.

تَحْيَ بين الألى خلفها يختفون
تلقهم يهمسون وهمُ صامتون
والليالي تهون والكَرَى والمنون

بابل الساعة الثامنة

في بعض الأحياء يمنع الشرطة نداء الباعة قبل الساعة الثامنة؛ فيجتمع الباعة عند مداخل تلك الأحياء صامتين متأهبين، حتى إذا وافت الساعة المحدودة، اندفعوا دفعة واحدة ينادون على السلع، كلٌّ وما يبيع، وهي خليط لا تأتلف أصداؤه ولا أشياؤه، فهي بابل لأمراء!

قابل بين بابل هذه وبابل الفجر الذي تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط، ولكنها تنسجم في معناها المبشر باستئناف الحياة وعودة النور، وأن هذه المقابلات جميعًا لَحقيقة في الشعر ببعض الإصغاء:

كم بابل في الساعة الثامنةْ تثور في حلتنا الساكنةْ!
خفية الأصداء لا تنجلي ولم تكن عجماء أو واهنةْ
شَتَّى فإن أفردتها لم تكد تبين منها لفظة بائنةْ
كأنما تصغي إلى راطنٍ يُتَعْتِعُ الأحرف أو راطنةْ
فلفظة ينطقها دونها عشرون في حلقومه قاطنةْ
واسم يليه اسم وما جَمَّعتْ قرينة بينهما قارنةْ
إن بعدت عن سامع أو دنت لم تُدْنِها أوصافها المائنةْ
البرتقال الحلو والفحم والـ أطباق والريحانة الفاتنةْ
والبيض والأثواب والتبغ والـ أخشاب والزينة الزائنةْ
وأشربات العصر في حينها مثلوجة إن شئت أو ساخنةْ
والناي والأرغن تتلوهما ربابة كالهِّرَةِ الداجنةْ

ومَنْ يُناديها ويدعو بها   إليه في زوبعة زابنةْ[7]
مخلوطة ممزوجة كلها   معجونة في لفظها عاجنةْ
في بابل الباعة تلك التي   نسمعها لا بابل الحائنةْ
يحبسها الشرطي حتى إذا   حانت لديه الساعة الثامنةْ
أطلقها فانطلقت فجأة   على الحمى كالغارة الكامنةْ
تجدُّ أقصى الجد لكنها   في السمع كالمجنونة الماجنةْ

* * *

إذا تمادى النوم بي ضحوة   أو أرَّقتني خطرة رائنةْ
أيقظني من بابلي هذه   نفير حرب في القرى الآمنةْ

* * *

يا بعدها عن بابل في الدجى   أسمعها شادية لاحنةْ
أسمع عرس الفجر في دَوْحَة   ملتفة أغصانها شاجنةْ
وكل ذي سمع سليمانها   إن غردت أطيارها الواكنةْ
شَتَّى وفَحْوَى قولها واحدٌ   لكل أذن نحوها آذنةْ[8]
بُشْرَى لنا بُشْرَى لآفاقنا   عادت إلينا شمسنا الظاعنةْ!

* * *

يا بابل البشرى أغيثي الكَرَى   من بابل الملعونة اللاعنةْ
هَبِيه أنت اليقظات التي   تُشْبِه أحلام الدُّجَى الحاضنةْ
لا تُسلميه لوغى بابل   مغبونة في سعيها غابنةْ
من صرخة الحاجة أصداؤها   ومن لجاج المهنة الماهنةْ
لا بائعًا صانت ولا شاريًا   كانت له عن حاجة ضائنةْ

[7] دافعة.

[8] أذن له وإليه: استمع.

***

يا بابل البُشْرَى اسْلَمِي واغنمي وجنبينا الذلة الشائنةْ
ودِدْتُ لوَ انَّ بني آدم تعلموا حكمتك الباطنةْ
ما احتجتُ قط إلى كاهن يوحي بمعناها ولا كاهنةْ

وليمة المَأْتَم

أعدوا الموائد واستقبلوا ولم يرَ صاحبه المنزلُ
فأين عريس به يحفلون وأين عريس بهم يَحفلُ؟
طواه الرَّغَام وغطى عليه صفيح المَفَاوِز والجندلُ
وما حفل البيت من يأكلو ن لولا فَم بات لا يأكلُ

***

ومن قبل ذاك أعدوا الطعام وفي النفس هَمٌّ لها مثقلُ
إذا ما تناجوا فصوت خفيض وإن عملوا ففَم مقفلُ
ولا من يُغنِّي كما يفعلون إذا أولم القوم أو أفضلوا
وما حمد الطفل تلك الوفود إذا أبطأ القوم أو عَجَّلُوا
فما منهمُ مازحٌ باسمٌ وما منهمُ لاعب مقبلُ
ولا للمضيفين زاد هنا ك إلا وأَطْيَبُه حَنْظَلُ
وما بين ذلك إلَّا النَشِيج ودمع على خِلْسَة مرسلُ
ثقيل على الحزن أكل الطعام ومَنْ يَشْتَهِي أكله أثقلُ
فيا أيها الناس! لا تُولِمُوا على مَيِّتٍ واحزنوا واعقلوا!
فليست مجاملة الراحلين إذا انقطع الزاد أن تأكلوا

عند تمثال

وقف الطفل وقفة التفكير	عند تمثال عالم مشـهور
سـائـلًا أمـه وقـد هَـالَـه مـا	هال من ذلك الجماد الجهير
فـأجـابتـه ذاك طـفـلٌ كـبـير	أتقن الدرس في كبار الأمور
قد أتوه بهذه اللعبة الكبـ	ـرى تُسَلِّيه في ظلام القبور
أفترضى مثاله؟ قال لا يا	أم إنـي أراه غـيـر جـديـر
لا أرى فيه مَسْحَةً من جمال	تتجلى أو نفحة من سرور

سلع الدكاكين في يوم البطالة

بشيء من التخيل يستطيع الإنسان أن يسمع سلع الدكاكين في أيام البطالة تشكو الحبس والركود، وتود أن تبرز لتُعرض على الناس وتُباع، ولا تُفضِّل الراحة والأمان على ما يصيبها من البِلَى والتمزيق بعد انتقالها إلى الشراة، كما أن الجنين في عالم الغيب لا يفضل أمان الغيب على مضانك الحياة وآلامها، ولذلك تظهر الأجنة ألوفًا بعد ألوف إلى هذا المعترك الأليم:

مـــــــــــقـــــــــــفـــــــــــرات
مُـــغـــلـــقَـــات مُـــحـــكـــمَـــات
كل أبواب الدكاكين على كل الجهات
تـــــــــــركـــــــــــوهـــــــــــا
أهـــــــمـــــــلـــــــوهـــــــا
يـــــوم عـــــيـــــد عـــــيـــــدوه
ومـــضـــوا فـــي الـــخـــلـــوات

***

«الـــــــــــبـــــــــــدار!»
«مـــا لـــنـــا الـــيـــوم قـــرار!»

أي صـــوت ذاك يـــدعـــو الـــنـــا
س مـــن خـــلـــف الـــجـــدار
أدركـــوهـــا
أطـــلـــقـــوهـــا
ذاك صـــوت الـــسـلـــع الـمـحـبـو
س فـــي الـــظـــلـــمـــة ثـــار
فـــي الـــرفـــوف
تـــحـــت أطـــبـــاق الـــســـقـــوف
الـــمَـــدَى طـــال بـــنـــا
بـــيـــن قـــعـــود ووقـــوف
أطـــلـــقـــونـــا
أرســـلـــونـــا
بـــيـــن أشـــتـــات مـــن الـــشـــاريـــن
نـــســـعـــى ونـــطـــوف

* * *

ســـوف نَـــبْـــلَـــى
يـــوم أن نُـــبـــذل بـــذلا
أي نعم، لم نَسْهُ عن ذاك ولم نجهله جهلا
غـــيـــر أنَّـــا
قـــد وددنـــا
أن نرى العيش وإن لم يكُ وِرْدُ العيش سهلا

* * *

كـــالـــجَـــنِـــيـــن
وهـــو فـــي الـــغـــيـــب ســـجـــيـــن
إن تـــحـــذره أذى الـــد
نـــيـــا وآفـــات الـــســـنـــيـــن

قــــــال هـــــــيــــــا
حـــــيـــــث أحـــــيــــــا
ذاك خير من أمان الغيب والغيب أمين

* * *

أطـــــلـــــقـــــونــــا
وإلــــى الـــدنـــيــــا خــــذونــــا
حيث نلقي الآكلين الشاربين اللابسينا
ذاك خـــــــيـــــــر
وهـــــو ضَـــــيْـــــر
من رفوف مُظلِمَات يوم عيد تحتوينا

المنازل في الصيف والشتاء

يا حُسْنَ ذاك المنزلِ كالضاحك المتهللِ
يَروي الظلام بمنهل من نوره كالجدولِ
مُتَكَشِّفًا عن سره عريان للمتطفلِ
الصيف عَلَّمه الطلا قة كالشباب المُقْبِلِ
فكأنه بعض الفضا ء الواسع المسترسلِ
لم ينفصل عنه ولم يُحجَب بسِتْرٍ مُسْبَلِ
مُوفٍ على آفاقه وعلى الكواكب من علِ
ساري الطريق أمامه عرضًا، كرب المنزلِ
والمستقر به شبيـ ـه العابر المُتَنَقِّلِ
هذا وذاك كلاهما في ساحة لم تُقْفَلِ

* * *

عَرِّجْ عليه هناك في ليل الشتاء الألْيَلِ

يلقى المطيف كأنه　　وجه المُشِيح المُجْفِلِ
حَذَرًا على أسراره　　مُتكتِّمًا لا ينجلي
هَرِمًا يخاف ويتقي　　طَيْشَ الشباب الأولِ
صد الفضاء كأنه　　من دونه في معقلِ
وجفا المنازل حوله　　فكأنه في معزلِ

* * *

خَفَّ الربيع به وأثـ　　ـقله الشتاء بجندلِ
وأدار حوليه نِطَا　　قا من قضاء مُنزَلِ
فكأن عابره إذا　　أمسى طَرِيدَةَ هيكلِ
متفلتًا من طارديـ　　ـه مُحاذِرًا ممن يلي

* * *

ما في الشتاء رفاهة　　للعابر المُتأمِّلِ
إلا تخيُّل موئلٍ　　خلف الشعاع المرسلِ
فيه سعادة مُسْتَهَا　　م أو هناءة مصطلي

الطريق في الصباح

بدأت دولة الطريق　　وانتهت دولة البيوت
ضاق بالكوكب المُفِيق　　عالم الليل والسكوت

* * *

حيثُ يممت مسرعٌ　　يتلقاه مسرعون
ما لهم؟ أين أزمعوا؟　　ويحهم ممَّ يهربون؟

* * *

كلما غاب مُجْفِل　　طلع اثنان في هجوم

ذاك ركـب مـضـلـل حـائـر حـيـثـمـا يـحـوم

* * *

حـائـر حـيـرة الأُلَـى سُـحـروا ثـم أُطـلـقـوا
وضح الصبح وانجلى فـهـو بـالـسـحـر أخـلـق

* * *

لا أرى فـرد سـاحـر فيك يا صبح بل ألوف
كـم أسـيـر وآسـر والرُّقى بينهم صنوف[٩]

* * *

ذلك الطفل ما عَنَاه؟ جدول الضرب في كتاب!
ذلك الشيخ ما مُنَاه؟ لـقـمـة كـلـهـا عـذاب

* * *

والـفـتـى أيـن قِـبـلـةٌ نحوها يُرِسل العنان؟
غـايـة الأمـر قُـبـلـة بعدها يمسح الدهان

* * *

خذهم أيها الطريقْ في غداة من الصباح
لا تـضـلـنَّ بـالـرفـيـقْ إن دنت ساعة الرواح

* * *

إن دنت ساعة السُّبات ويك! لا تخطئ الوكور
كـم وكـور مـنـاظـرات للبيوت اسمها القبور!

[٩] جمع رقية، وهي طلسم السحر وما يُسْتَعَان به من القوى الخفية.

معرض البيت

هو بيت قد حواهم مسكنا ونَـأُوا فـيـه كـنَـأْيِ الـشـهـبِ
لو عرضنا صور الدنيا هنا لـرأيـنـا كل مـعـنـى عـجـبِ

* * *

فيه طفل وفتى غض الإهاب عند كَهْل، عند شيخ جاثمِ
فيه غيد لم يجاوزن الشباب وفتاة في الشباب الباسمِ
ذلك البيت على ضيق الجناب معرض الدنيا، وفحوى العالمِ
كل ما همَّ ابن أنثى أو عَنَى بنت أنثى — ها هنا لم يعزبِ
كل حي فيه دنيا بل دُنَى جُمِعَتْ أشتاتها في موكبِ

* * *

موكبٌ لم يرتحل من موطن وإليه وحده شدُّ الرحال
فيه دنيا صُنِعَتْ من لبن عند دنيا من خزانات ومال
عند دنيا صُنعتْ من أعين وقلوب، ولهيب، وجمال
عند دنيا لم نجدها بيننا لم نجدها من وراء الكتبِ
عرضتْها الدارُ أشتاتًا لنا فالتقت موصولة في سببِ

* * *

رُبَّ دنيا صنعوها لعبا جَاورتْ دنيا دواء وسقم
وصبيٍّ جد أو طفل حبا جاورا نضو مشيب وهِرَم
ورفيقين هناك اصطحبا وهما قُطْبَا خصال وشيم
فرجة فيها لمَنْ شاء الغِنَى غير ما عان ولا مغتربِ
ما نأى في الدهر شيء أو دنا بعد هذا المورد المقتربِ

* * *

طالب المسرح من خلف الحجاب أنت في «المسرح» صبحًا ومساءَ

يخلق البيت من الدنيا العجاب   صورًا شتى وأنماطًا ولاءَ[10]
وترى فيه وإن ضاق الجناب   أوجهًا مختلفات تتراءى
أين وجه يملأ العين سَنَى   من وجوه كانطباق الغَيْهَبِ
فتأمل ها هنا أو ها هنا   ترع ما شئت بمَرْعَى مُخْصِبِ

* * *

أي مرأى لو تجلى للعيون   في ضياء كضياء السيمياء!
كلما باح جدود وبنون   بِرُؤاهُ، ورجال ونساء
لم يكن قط وهيهات يكون   منظر أجدر منه بالضياء
إن تَأَبَّ أن تراه بيِّنًا   فالتمسه «بالخيال» المغرب
إنما الأعين كانت أعينًا   بسَنَى من نور ذاك الكوكب

بُعيدَ الغروب

ضجيج الصغار إذا ما خلت   نواحي الديار من الوالدِ
صياح العصافير في دَوْحَة   خَلَتْ من عُقَابٍ ومن صائدِ
وأَطْرَبُ من غابة في الصبا   ح من مُنْشِدٍ ثَمَّ أو ناشدِ
تَنَادِي الصِّغَار بُعَيْدَ الغرو   ب من كل مجتمع حاشدِ
إلى لحظة ثم تلقى الجمو   ع ما بين نَعْسَان أو راقدِ

---

[10] متوالية.

فتنة الصور المتحركة

إلى أين تَـهْـرَع هَـذِي الـفـتـاة   وهذا الفتى أين يبغي المفر؟
سِـرَاعًـا إلـى الـصـور الـنـاطـقـا   ت تحكي الغرام وتحكي الخطر
لـقـد أصـبـحـوا صـورًا مـثـلـهـا   فلا عـجـب يـعـشـقـون الـصـور
هـم الـنـاس لـم يـبـقَ إلا صدى   تَـفَـشَّـى وإلا طِـلَاء ظـهـر

على سفح الهرم

طلع البدر على سفح الهرمْ   شـبـح ذلـك أم ظـل جـثـم
لا تـراه حـيـنـمـا تـلـمـحـه   من بـعـيـد غـيـر ظـل وقدَم
لو تفشَّى النور أو رقَّ الدجى   لـتـولَّـى خـشـيـة، أو لانـهـدم

متسول

هم الناس ضيفٌ لهذي الحيا   ة وذلـك ضـيـف لـهـم مـبـرمُ
فـفـي كـل بـيـت لـه لـقـمـة   وفـي كـل جـيـب لـه درهـمُ
وفـي كـل أرض لـه مـعـقـل   ومَنْ لا يخف فهو مستعصمُ

* * *

ذلـيـل مَـهِـيـن بـمـا يَـغـنـم   ذلـيـل مـهـيـن بـمـا يُـحـرمُ
ولـيـس أذل مـن الـمـصـلـحـيـ   ـن إذا أصلحوا الناس أو علموا
ولـيـس بـأهـونَ مـن دعـوة   يـضـيـق بـهـا الـسـذج الـنُّـوَّمُ

* * *

ألا أيـهـا الـسـائـل الـمـعـدم   قـسـمـت فـحـسـبـك مـا تـقـسـمُ

حقرتَ الحياة كما حقَرتْكَ فما منكما أحد يظلمُ
تحاسبتما فتساوى الحساب فلا من يُغالط أو يندمُ
وما هكذا النابغ العبقري ولا هكذا الآثم المجرمُ

أناشيد وأغاني

النشيد القومي

قد رفعنا العلم للعُلا والفِدَى
في ضمان السماء
حي أرض الهرم حي مهد الهدى
حي أم البقاء

* * *

كم بَنَتْ للبنين مصر أم البُنَاة
من عريق الجدود
أمة الخالدين مَنْ يَهَبْهَا الحياة
وهبته الخلود

* * *

تحت أصفى سماء فوق أغنى صعيد
شعب مصر مقيم
قد حوى ما يشاء من زمان مجيد
ومكان كريم
نيلنا خير ماء كوثر من نعيم

فاض بالسلسبيل
في العروق الدماء شعلة من حميم
للعدو الدخيل

* * *

إن يكن أمسنا في حمى الأولين
فلْنَعِشْ للغدِ
لا ترى شمسنا غير فتح مبين
ما يدم يزددِ

* * *

فارخصي يا نفوس كل غالٍ يهون
كل شيء حسن
إن رفعنا الرءوس فليكن ما يكون
ولتعش يا وطن

شكر المحتفلين بالنشيد القومي

أُلْقِيَتْ هذه القصيدة في الاحتفال الذي أُقِيمَ تكريمًا للنشيد القومي:

بالنَّظْمِ أَحْمَدُ مُكْرِمِي نظمي ومن السلاف تحية الكرمِ
هذا النشيد، ففيم يشكرني قومي، وقد غَنَّى به قومي
أن تقبلوه، وتلك مفخرة عظمى، فقد وفيتُمُ سهمي
قد كان لي، غدا لكم قِسْمًا، فحسبي ذاك في قسمِ
من تقبل الأوطان قُرْبَته جادت عليه بمغنم ضخمِ

* * *

أبناء مصر وأمكم أمي يوم الفخار، وهَمُّكم هَمِّي

أني نظمت لها الدعاء، وبي   منها شكاة الروح والجسمِ
شوق إلى حريتي طلقٌ   ويدان بعدُ مهيضتا عظمِ[1]
لي في السماء هوى ويمسكني   غل يصافحني على رغمِ
فلئن رسمتُ لمصر طالعها   فلقد وصلتْ بنجمها نجمي
ولئن وصفتُ لها سَرِيرَتَها   فمن الضمير مصادر العلمِ

* * *

أبناء مصر على هدايتكم   إن النجاح لكم من الختمِ
إن تهتفوا بنشيدكم كلمًا   فدعوا القلوب تُجيب بالعزمِ
عُقْبَى الطريق لمن إذا بدءوا   عرفوا لأيَّة غاية ترمي
هذا الورود دنا فلا تَهِنُوا   إني أراه على مدى سهمِ

نشيد، على مُقْتَضَى الحال

كانت وزارة المعارف قد وَلِعَتْ «بمكايدة» صاحب هذا الديوان على طريقتها المعهودة في ذلك الحين، فأعلنت عن مسابقة للأناشيد القومية، وهي تعلم أن صاحب الديوان لن يدخل فيها، فكان جوابه أن عرض النشيد التالي ليستحق به الجائزة عندها:

إلى الوراء إلى الوراء إلى الوراء
إلى الوراء كل يو   م في الصباح والمساء
إلى كرومر الحنون
ومكمهون، ولمبسون
وسمبسون،[2] وكل جون

[1] نظم النشيد وصاحبه مصاب في كلتا يديه في حادث اصطدام، والأمة المصرية محكومة حكمًا لا ترضاه.
[2] كرومر ومكماهون ولمبسون معتمدون بريطانيون في مصر، وسمبسون موظف كبير في وزارة المعارف العمومية.

إلـــى الـــوراء بـــالـــقـــلـــوب إلـــى الـــوراء بـــالـــعـــيـــون
إلى الوراء إلى الوراء إلى الوراء

* * *

وفـــي ركـــاب الـــمـــســـتـــشـــار
يـــمـــشـــي الـــكـــبـــار والـــصـــغـــار
والـــزارعـــون والـــتـــجـــار
والـــشـــاخـــصـــون فـــي انـــتـــظـــار عـــلـــى الـــيـــمـــيـــن والـــيـــســـار
إلى الوراء إلى الوراء إلى الوراء

* * *

لـــهـــم إذا شـــاءوا الـــعـــطـــاء
ومـــا لـــنـــا مـــنـــهـــم جـــزاء
إن يـــطـــلـــبـــوا مـــنـــا الـــرداء
نُـــعْـــطِ الـــطـــعـــام والـــشـــرا ب والـــكـــســـاء والـــغـــطـــاء
إلى الوراء إلى الوراء إلى الوراء

* * *

إلـــى الـــوراء لا الأمـــام
إلـــى الـــوراء بـــاحـــتـــرام
عـــلـــى الـــدوام، وفـــي الـــخـــتـــام
وكـــل يـــوم بـــانـــتـــظـــام وكـــل عـــام، والـــســـلام
إلى الوراء إلى الوراء إلى الوراء

أغاني

هذه الأغاني نُظِمَتْ لتُنْشدها الآنسة «نادرة» في رواية من روايات الصور المتحركة حسب المواقف التي تعرض لأبطالها، وهذه الأغنية التالية تُنْشَد في زَوْرَق يجري على النيل عند

القناطر الخيرية تحت أشجار الصفصاف التي تُطِلُّ على الشاطئ وفي الزورق المحبان يتناجيان، والحبيبة تنشد:

فـي الـهَوَى قـلبي زَوْرَقٌ يــجــري
أيـن يـمـضـي بـي نـهـره الـخـمـري
لــيـتــنــي أدري

* * *

لَـيْـتَـه يـجـري يـا أبـا الأنـهـارِ!
مـثـلـمـا تـسـري فـي حـمـى الأقـدارِ
حــولــك الأزهــار

* * *

حولك الصفصاف مـسـبـل الـشـعـرِ
نـاعـس الأطـيـاف سـابـح الـفـكـرِ
في الهوى السحري

* * *

يـا ريـاض الـنـيـل عَـلِّـمِـي قـلـبـي
فـرحـة الـتـهـلـيـل عـشـت لـلـحـبِّ
يـا مُـنَـى الـصَـبِّ

* * *

قـال لـي قـلـبـي والـهَـوَى يـرعـاهُ
هـو فـي قُـرْبِـي مـا الـذي أخـشـاهُ
عـنـدمـا ألـقـاهُ

أمسية على النيل

وهذه الأغنية تُنْشَد على شاطئ النيل بعد الغروب:

يا حبيبي أنت رِيٌّ   ليس في الماء نظيرهُ
يا حبيبي أنت ظل   ليس للروض عبيرهُ

* * *

يا حبيبي أنت بدرٌ   أين نور البدر منه؟
أين نور زانه الحبـْ   ـبُ ونور لم يزنه؟

* * *

أنت عندي كل شيء!   كل ما شئت يكون
قل لهذا الليل يبقى   ومع الليل السكون

* * *

قل له فهو نجيٌّ   مُرْهِف السمع إلينا
كيف يعصي لك أمرًا؟!   والهَوَى طوع يدينا

الزوجة المهجورة يوم ميلادها

وهذه الأغنية تنشدها الزوجة التي هجرها زوجها يوم ميلادها، ولم يرضَ أن يُلازمها في المنزل؛ ليُشاركها في الاحتفاء بهذا اليوم:

مولدي يوم شقائي   مات في المهد رجائي
ليس في قلبي عزاءٌ   أين في الدنيا عزائي!
أحسب البدر ظلامًا   وهو مصباح السماءِ
لَاحَ في الأفق وحيدًا   ومن الوحدة دائي
كم أَرَانِي النور حزنًا   كان في طيِّ الخفاءِ

إغواء

وهذه الأغنية تُنشدها بطلة الرواية على مسمع من صاحبها؛ لتوحي إليه أنه هو المقصود بحبها وغنائها، وقد كان يجهل ذلك:

هل دَرَى من أحبه أين في الحب مطمعي؟
هل معي الآن قلبه مثلما سمعه معي؟!

* * *

هل أراه بناظري أم أرى الطيف الرجاء
ربما بات زائري وهو في البعد كالسماء
ليته يكشف الضمير! ليتني بالهوى أبوح!
فاكشفْ الروض يا عبير إن عطر الهوى يَفوح
شِرْعَة القلب شرعتي ما احتياجي إلى شفيع
إن تَسَلْنِي فحُجَّتِي في يدي زهرة الربيع

في ساعة انتظار

يا ساعة الصفو! غِبْتِ عني وحيَّرتْ لوعتي خطاكِ
تائهة أنت في طريقي هداكِ نور الهوى هداكِ

* * *

أبطأت يا ساعة التمني وموعد الملتقى قريب
هل يُبطئ البَيْن لو سعى لي كما سعى موعد الحبيب

* * *

أصبحتُ في لهفتي عليه أنتظر الليل بالنهار
طال انتظاري له فماذا في الغيب يا ليل بانتظاري؟!

قوميات

يوم الجهاد ذكرى ١٣ نوفمبر في سنة ١٩٣٥

أجل هو يوم الفدى والذمم ... ويوم الجهاد ويوم القَسَمْ
ويوم الذين دعوا أمة ... ونادوا بدعوتها في الأمَمْ
ويومٌ له غده المُرْتَجَى ... ويوم له سره في القِدَمْ
هنا حرم في جوار الزمان ... فحيوا الزمان وحيوا الحرمْ
هنا فليقم عهده من أقام ... ويعزمْ على أمره من عزمْ
ويستقبل الهول من راضه ... ويرتد من خافه فانهزمْ
تعز الصفوف بنبذ الجبان ... كعزتها بشجاع هجمْ
وتُحمى الحقوق بدفع الضعيف ... كدفعك عن حوضها من ظلمْ
فليستْ تُصان الحقوق التي ... حمى جانبيها ضعاف الهممْ
وهيهات تعلو لنا شوكة ... بشكوى الذليل ونجوى السأمْ
إذا كرمت أمة لم تكن ... كرامتها من هبات الكرمْ
إذا استرحمتْ أمة خصْمَها ... فلا رحمتها عوادي النقمْ

* * *

أفيقوا أفيقوا حماةَ الديار! ... حماة الديار ببأس الرمم!
أتسمعكم «لندن» يا تُرَى ... على النَّأْي أم لم تزل في صَمَم؟!
أيشفق هاجركم يا ترى ... هنالك أم قد جفا واعتصم

أيُطمعكم منه ذاك الدلال   أَمْ حَسَمَ الشَّكُ فيما حسم
إذا لم يكن صوتكم بالغًا   إليه فما قولكم في النغم؟!
عليكم بقيثارة حلوة   وناي وعود وزيز وبم
وبثوا له لوعة أو ضنى   وشقوة حال ونجوى ندم
فقد ينثني في غد راضيًا   إذا صُدَّ في أمسه أو صدم
وقد ينثني طيفه في الكَرَى   وطاب الكرى عندكم والظلمْ
ويا ويلكم بعدها إن جفا   وعاف المقام بأرض الهرمْ
فكيف تُطيقون منه الجلاء   إذا ما انجلى بعدها وانصرمْ!

* * *

أفيقوا أفيقوا دعاة الديار   دعاة الديار وفيكم بَكَمْ
وأوصوا الرفاق بصمت طويل   وصبر جميل وهزل عمم
وقولوا لهم مثلنا فاصنعوا   إذا نابكم نائب أو دهم
ومَنْ جَدَّ من أمره بينكم   فذاك هو الخائن المتهم
فإن الأمانة في شرعنا   ولائم تُغشى ولَهْوٌ يُؤم
وإن الخيانة فتح العيون   وفتح العيون عدو النعم
كفى لعبًا أيها الهازلون!   فقد ملأ الخطب مصرًا وَطَم
لقد أسأمتْكم كبارُ الأمور   لقد أسأمتنا صغارُ اللمم
وقد أسأمتنا رعاة تُسَاقُ   فأين الرعاة وأين الغنم؟
أأصنام باغين تبغونها   وأنتم تذلون ذل الخدم؟!
أأطلب حرية للعبيد   وألقي بحريتي عن رَغَم؟!
فماذا أقول لهذا الجبين؟!   وما عابه عائب أو وَصَم
وماذا أقول لهذي اليمين   وإني بها قد صنعت الصنم؟!
معاذ الفتوة إني لكم   على رصد ساهر لم ينم
هو الحق ما دام قلبي معي   وما دام في اليد هذا القلم
بني مصر طوفوا بهذا الحرم   بيوم الفخار ويوم الألم
يسر ويُؤلم تذكاره   وفي الغد من حالتيه الحكم
بدأنا بسعد وغاب الإمام   فمن شاء فليحسن المختتم

إذا نحن سرنا على نهجنا فلا ضير في أن تزل القدم
حذارِ القعود مع القاعدين وسر فالطريقُ سويٌّ أمم
فِدًى للبلاد وأعوانها على النصر من خانها وانهزم
ومن هونوا الأمر حتى غدا أجير الهتاف دعيَّ العِظَم
وحتى غدت كل تصفيقة تبوِّئ في المجد أعلى القمم
وما المجد صفقًا ولا صفقة ولكنه معقل يقتحم
فلا تركبوا السهل واستصعبوا فللسَّهل أصعب هول نجم
تضيع البلاد به سهلة فمن رامها عاديًا لم يلم

***

بني مصر! صونوا لها حقها كبار النفوس كبار الشيم
لكم مصر لا لدعيٍّ دعا ولا لذوي سطوة أو غشم
لكم مصر حيث يقر الثَّرَى وحيث يرف عليها العلم
وحيث جرى النيل من أرضها وحيث نما شعبها وازدحم
وحيث تلاحق موج البحار على جانبي شطها والتطم
وحيث تلألأ ضوء الشموس وأسفر عن صحوها وابتسم
فلا تتركوا ذرة من ثرًى لباغٍ ولا قطرة من خضم
ولا لمحة من شعاع سرى ولا نفحة من نسيم نسم
لكم وحدكم ما ضننتم به وما يُستباح وما يُغتنم
فما تبذلون فذاك الكرم وما تمنعون فنار ودم
على العهد فليقترب من رعى ذمامًا وفليبتعد من وجم
وهذي الكنانة من رَامَهَا بسوء وَهَى ظهره وانقصم
وأنتم لها سيفها المنتضى وأنتم لها عزمها المعتزم
فقولوا يردَّ لها مجدها يرد وما تم بالعزم تم

عيد بنك مصر

أُلْقِيَتْ في الاحتفال بمُضِي خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر:

بلغتَ الشباب فعِشْ وازْدَدِ ... وأوحِ التهانئ للمنشدِ
نما بك جَدُّك في المعجزات ... فيا لك من معجز مفردِ!
أفي السن كاليافع المرتجى ... وفي المجد كالهرم المخلدِ؟
وما هرم الصخر في مجده ... نظيرك يا هرم العسجدِ
وما بنيةٌ حرةٌ في الرضى ... تقام كبنية مستعبدِ
بنو مصر! في كل عهد لهم ... بناء على سُنَّة الموعدِ
فحينًا معابد فوق الذُرَى ... وحينًا مصارف كالمعبدِ
بهذا وهذا نجاري الزمان ... ونسبق في شوطه الأبعدِ
وندرك في يومنا أمسنا ... ونرفع شأويهما في الغدِ

***

أجل هو أشبه بالمعبدِ ... بناءٌ بقبلته نقتدي
ومن كان ينشد حريةً ... وعزًّا فذلكم المهتدي
وما يبتغي الدين من مؤمن ... سوى البر والجِدِّ والسُّؤْدَدِ
وإني لأحسب ذاك البناء ... بناء العقيدة لا الجامدِ
عقيدة داعين قد أخلصوا ... لمصر وللحق في المقصدِ
يريدونها حيث لا يُعتدى ... عليها بضَيْم ولا تعتدي

***

أراه فأزْهَى به عِزَّةً ... كأن غناه غِنًى في يدي
وأحسب أنفاله حسبتي ... لكنز «على ذمتي» مرصد
إذا قيل: مورد أبناء مصر ... فلي أن أقول: نعم موردي
وما ثروة الموئل المُفتَدَى ... سوى ثروة الوائل المُفتدِي
إذا أنا سُدت ولي موطن ... مهين فما أنا بالسيدِ

* * *

ترنَّم كما شئتَ واستطردِ ... وهنئ كما شئت بالمولدِ
وقُلْ ما بدا لك فيما مضى ... وفي مقبل بعده مسعدِ
تربى الوليد وأمسى بنوه ... وأحفاده زينة المعهدِ
أفي أسرة الشيخ من عُمره ... عددناه كاليافع الأمردِ!
أفي الخمس والعشر يُطوى المَدَى ... ويفتح كل حمى موصدِ
وتملأ آثاره الخافقين ... أنَّى يُنادَ به يوجدِ
سَلْ الطير إنْ رامَها فاتها ... سَلْ الريح إنْ قادها تنقدِ
سَلْ الحوت بين شعاب البحار ... إن جاءها صائدًا يُصطدِ
سَلْ الشرق عمن قضى حجه ... سَلْ الغرب عن رائح مغتدِ
وسَلْ قطن مصر وسل تُوتَها ... عن الغازل الناسج المرتدي
وما لك لا تسأل المستغيث؟! ... عن السامع المبصر المنجدِ
وما لك لا تسأل القارئين! ... عن الطابع الناشر الأجودِ
وما لك لا تسأل الفن! عن ... صروح حسان وروض ندِ
وما لك لا تسأل الطيف! في ... شباك من الظل بالمرصدِ
تُمثله حُلمًا ناطقًا ... على الستر من يبغِه يشهدِ
كذاك يبارك في الصالحا ... ت من عمل الصالح الأيدِ
وخير النجاح نجاح به ... نصيبان للقوم ملء اليدِ
نصيب الغنيمة يغنى بها ... وحسن الثناء على المحتدِ

* * *

فيا قائمين على (حصن مصر) ... سعدتم برضوانها الأسعدِ
إذا قيل (بنك) فقد قيل حصن ... نجا بالعتاد وبالمُعْتَدِ
ومن قال يا أمتي وفِّري ... فقد قال يا أمتي جَنِّدي
هنيئًا لكم قادة ذادة ... يصولون صولة مُستشهِدِ
هنيئًا لكم (حربكم) إنه ... من الحرب في وصفها الأحمدِ
لكم راية النصر مرفوعة ... على ساحة الزمن السرمدِ

تعود لكم كل أعيادكم بأجمل مما به تبتدي

في ذكرى سيد درويش في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

اذكروا اليوم سيدًا واحفظوا الذكر سرمدا
وتغنَّوا بحمد مَنْ قد تغنَّى فأسعدا
مَنْ يكن ذاك أمسه يبتدئ مجده غدا

* * *

كان للصوت مالكًا كيف لا يملك الصدى؟
قد حوى السمع شاديًا وسيحويه مُخلدًا
أخلدُ الناس مَنْ إذا قيل تاريخه شدا
عاش للفن والفنو ن مصابيح للهُدى
مطلع النور نبعها جاوز الشمس مصعدا
من يعش في السماء هيـ ـهات لا يعرف الرَّدَى

* * *

جدِّدوا اليوم ذكر مَنْ قد تغنى فجددا
الذي صور الحيا ة هتافًا مرددا
علَّم الناس كيف يعـ ـنون باللحن مَقصِدا
ما ابتغوا قبله المعا نيَ في القول مسندا
فابتغوا بعده المعا نيَ في الصوت مفردا
وانثنوا يعجبون للطـَّ ـير لما تغردا
ولهمس النسيم في الـ ـغصن لما تأوَّدا
والدراريّ والسنا والأزاهير والندى
سمعوا كل ما انطوى من سرار وما بدا
سمعوا الكون بيِّنًا والمقادير شُهَّدا

فُـتـح الـبـاب كـلـه   بـعـد أن كـان مُـوصَـدا
ربـمـا جـاز فـاتـح   فـي الـمدى ما تـعـمدا

* * *

إنـما الـفن في الشعـو   ب شـبـاب لـه الـفِـدَى
فيض ما زاد من شعو   ر ومـا هـام مـبـعـدا
سـورة فـي عـروقـهـا   يـتـقـي بـأسـهـا الـعِـدَى
لا أنـيـنٌ ولا طـنـيـنٌ   ولا ضـجـة سُـدَى
أو نـديـم لـشـارب   بـالـطِّـلا قـد تـزودا
أو بـكـاء كـمـا بـكـى   سـائل يـطـلـب الـجَـدَى
رحـم الـلـه سـيِّـدًا   كـان لـلـفـن سـؤددا
لـيـت أحـيـاءنـا الأُلَـى   سـبـقـوا الـموت موعدا
لـحـقوا وهـو في الثرى   مـنـه روحًـا تـمـردا
وارْتَـأَوْا مـثـل رأيـه   واقـتـدوا مثـلـما اقـتـدى
أكـبـر الـظـن أنـه   جـاور البحر فـاهـتـدى[1]
مُـفـلـحٌ مَـنْ يـكون أسـ   ـتـاذه الـبـحـر مـزبـدا

* * *

إنـمـا الـلـحـن تـرجـمـا   ن عـن الـنـفـس ما عـدا
مـبـدع وهـو نـاقـل   كـلـمـا قـال أوجـدا
واصـف لـن تـرى لـه   عـاذلًا أو مُـفـنِّـدا
هـكـذا كـان سـيـدٌ   صـادقَ الوصـفِ مُرشـدا
ما سمعنا لشعب مصـ   ـر عـلـى مـا تـعـددا
واصـفًـا كـان مـثـلـه   مـسـتـجـابًـا مـؤكـدا
كـل رهـط أعـاره   لـحـنـه أسـلـم الـيـدا

[1] كانت نشأة الموسيقار الكبير في ثغر الإسكندرية.

وحـــبـــاه بـــسِـــرِّه ناطق الوسم منشدا
لـيـس مـن عـامـل ولا عـاطـل راح أو غـدا
أو سـريٍّ مـجـلَّـل أو فـقـيـر تـجـردا
أو قـويٍّ مـزمـجـر أو ضـعـيـف تـنـهـدا
أو دعـاء دعـاه إلا عـرفـنـاه جـيِّـدا
هـكـذا يسمع الخليـ ـقة مَنْ يسمع الصدى

***

إنـمـا الـلـحـن مـنـطـق وحَّـد الـكـون إذ حـدا
فيه لا في اللغات يبـ ـدو نظيمًا منضِّدا
اسمعوا منه في الضما ئـر وحـيًـا مـؤيـدا
حيثما يقصر الكلا م ويـمـشـي مـقـيـدا
وارفعوا الفن واحذروا مـهـبـطًـا مـنـه أوهـدا
واجعلوا من تراث در ويش للفن معبدا
إنـه مَـهَّـد الـخُـطـى فـابـلـغـوا أنـتـم الـمـدى
رحــم الــلــه سـيِّـدًا كـان فـي الـفـن سـيِّـدا

فاز سعد

نُظِمَتْ عندنا نقل رفات الزعيم الخالد سعد زغلول من ضريحه في صحراء الإمام إلى ضريحه المقام إلى جوار بيت الأمة:

عـرف الـنـفـي حـيـاة ومـمـاتـا وأصـاب الـنـصـر روحًـا ورُفَـاتـا
كـلـمـا أقـصـوه عـن دارٍ لـه رَدَّه الـشـعـب إلـيـهـا واسـتـمـاتـا
كيف يجزيه افتياتًا وهو من كان لا يرضى على الشعب افتياتا
أصـبـحـت دارك مـثـواك فـلا تخشَ بعد اليوم يا سعد شتاتا
حـبـذا الـخـلـد ثـمـارًا لـلـذي غـرس الـمـجـد ونَـمَّـاه نـبـاتـا

* * *

كل أرض للمصلِّي مسجد   غير أن الكعبة الكبرى مقام
هكذا قبرك مرفوع الذُرَا   في جوار البيت أو سفح الإمام
أرض مصر حيث أمسيت بها   فبنو مصر حجيج وزحام
غير أن الذكر يبغي منسكًا   مثلما يبغيه حج واستلام
فالْقَ في قبرك خُلدًا كلما   مر عام تبعته ألف عام

* * *

جيرة الأحياء أولى بالذي   بعث الدنيا حياة لن تبيد
معشر الأحياء أنتم لكم   مدد من ذلك الميت مديد
مستعيدين رجاءً كلما   جزتموه وهو منكم مستعيد
إنه في كل جيل ذاكر   من بنيه أبد الدهر وليد
تلك يا سعد مغانيك فما   في سواها يسكن اللحد شهيد

* * *

اعبر القاهرة اليوم كما   كنت تلقاها جموعًا ونظامًا
ساعة في أرضها عابرة   بين آباد طوال تترامى
ساعة من عالم الفردوس لا   تشبه الساعات بَدْءًا وختاما
كل مَنْ شاهدها زِيدَ بها   من معانيك جلالًا ودواما
قل لهم أبلغ ما قلت لهم   أيها الواعظ صمتًا وكلاما

* * *

جردوا الأسياف من أغمادها   ذاك يوم النصر لا يوم الحداد
ارفعوا الرايات في آفاقها   أين يوم الموت من يوم المعاد؟
لا يُلاقَى الخلد بالحزن ولا   يُكتَسى الفتح بجلباب السواد
ذاك يوم ما تمناه العِدَى   بل تمناه ولاء ووداد
فانفضوا الحزن بعيدًا واهتفوا   فاز سعد وهو في القبر رماد

***

الـفـراعـيـن الأُلَـى أجـلـيـتـهـم   لَـتَـمَـنَّـوا لـو أجـازوك الـطـريـق
أنـت أضـفـيـتَ عـلـى أوطـانـهـم   سـعـة وهـي مـن الأسـر مـضـيـق
أنـت أيـقـظـتَ لـهـم تـاريـخـهـم   وهـو فـي نـومـتـه لا يـسـتـفـيـق
فـضـلـك الـلاحـق أحـيـا فـضـلـهـم   فـاسـتـوى مـنـه طـريـف وعـريـق
آيـة فـي الـحـق لا يـنـسـخـهـا   أبـد الـدهـر عـدو أو صـديـق

***

يـا بـنـي مـصـر اجـعـلـوا نـقـلـتـه   رمـز إحـيـاء وعـزم ومـضـاء
وانـظـروه كـيـف حـالـت دونـه   غِـيَـرٌ شـتَّـى ومـا حـال الـقـضـاء
الـمُـنـحَّـون تـنـحَّـوا جـانـبًـا   آخـر الأمـر، وسـعـد فـي الـبـنـاء
كـل ذي حـق سـيـعـطـى حـقـه   لـيـس لـلـمـجـد مـن الـخـلـد نـجـاء
كـل مـا عـارض سـعـيًـا بـاقـيًـا   عَـرَضٌ فـانٍ وزورٌ وريـاء

***

تـرمـز الـشـمـس[٢] إلـى نـقـلـتـه   بـسـفـور غـالـب بـعـد حـجـاب
صـرعـت لـيـلـيـن صـبـحًـا فـروَتْ   عـن حـضـور نـاصـع بـعـد غـيـاب
هـو أيـضًـا قـد طـوى لـيـل الـردى   وطـوى لـيـل الـغـواشـي والـكِـذَاب
فـي الـسـمـوات وفـي الأرض لـه   أثـر يـنـبـئ عـن يـوم الـمـآب
أثـر الـفـجـر إذا انْـجـاب لـنـا   عـن ضـحـاه بـعـد لَأْيٍ وغِـلَاب

***

دان يـا سـعـد لـك الـذكـر بـمـا   شـيـد الـبـانـي ومـا خـط الـزبـور
قَـدَر نـادى فـلـبَّـتـه عـلـى   مـوعـد الـذكـرى صـخـور وسـطـور

---

[٢] إشارة إلى كسوف الشمس صباح ذلك اليوم.

أنا بانٍ لك في مُلْك النهى منزلًا يبقى ولا تبقى الصخور
من أسانيدك آساس له ومن الحق له حسن ونور
إن أنل شَأْوَك فيه إنني بالذي شيدت منه لفخور

* * *

فتية الوادي بسعد فاقتدوا إن تخيرتم له خير وفاء
اذكروه بالذي يعمله منكم العامل في غير وناء
واذكروه بالذي امتاز به من مزاياه الأبيَّات الوضاء
هكذا يخلد سعد بينكم بتماثيل حياة ورواء
كل ما يعظم من أعمالكم هو تخليد لذكرى العظماء

إلى متطوع مشروع القرش

نُظِمَتْ هذه القصيدة تشجيعًا للشبان الذين كانوا يطوفون بالطرقات والمنازل؛ لجمع الاكتتابات بالقروش وتخصيص ما يجتمع منها لإحياء الصناعة الوطنية:

يا آخذًا أشبه بالمانح بوركت في مجهودك الصالحِ
تمد كفيك ولكن كما مُدت يمين المنقذ الناصحِ
وتعقد الصفقة لا تنطوي في عقدها إلا على رابحِ
فباذل القرش ومن ناله صنوان في وزن الندى الراجحِ

* * *

يا فتية القرش ورواده على سواء المنهج الواضحِ
خذوا هبات الجود حتى إذا فرغتم من فيضها الناقحِ
طوفوا على الدور ولا تتركوا بابًا قد استعصى على فاتحِ
وحاصروا الراكب في ركبه واسطوا على السانح والبارحِ
وراقبوا الجو ولا تتقوا غوصًا وراء الغائص السابحِ
وعلموا مَنْ ضن بالقرش أن يخجل من عدوانه الفاضحِ

فمن أبى قرشًا على أمة　　فذاك كالجاني وكالجارحِ
أنتم رجال الغد فاسعوا له　　برأس مالٍ لغد ناجحِ
وزودوا مصر بزاد الغنى　　والعزم من هذا الصبا الطامحِ
وأنبتوا مصرًا لكم حرة　　تغلو بها أحدوثة المادحِ
نعم البنون الأذكياء الأُلَى　　ردوا جميل الدرهم الفادحِ!
أرضاكم إذ كنتم صبية　　صحتم صياح الغاضب الجامحِ
فلم يزل حتى رجعتم به　　رضى لهذا الوطن الصائحِ

بين عهدين

أُلْقِيَتْ في مؤتمر حافل أوائل سنة ١٩٢٥:

أحسنتم الصبر والعقبى لمن صبروا　　نادى البشير فقولوا اليوم وائتمروا
تلك السنون التي ذقتم مرارتها　　هذا جناها فطاب الغرس والثمرُ
مرت وفي كل مصريٍّ لها أثرٌ　　إلا اليقين فما فيه لها أثرُ
سيهدم الطَّوْدُ مَنْ يبغيه معتديًا　　وليس يُهدم من أركانكم حجرُ
بناكم الله في أرض إذا رفعت　　صرحًا من المجد لم تعبث به الغِيَرُ
الدهر في غيرها هدَّام أبنية　　والدهر في شاطئيها حارس حذرُ
كِنَانَة الله كم أوفت على خطر　　ثم استقرت وزال الخوف والخطرُ
وكم توالت على أبوابها أممٌ　　ومصر باقيةٌ والشمس والقمرُ
كأن رمسيس حيٌّ في مدينته　　يرعى بَنِيه وهم من حوله زمرُ

* * *

ها أنتمُ أنْتُمُ والشمل مجتمعٌ　　لا الأمن طاش ولا أجناده حضروا![٣]
أين القلاقل؟ بل أين المعاقل؟ بل　　أين الزبانية الفتاكةُ الشزرُ

[٣] كان أعداء الحرية يمنعون كل اجتماع بدعوى الخوف على الأمن العام.

وأين من أرسلوهم في محافلكم؟ وأين ما خوفوا الدنيا وما زجروا؟
خافوا على أمنهم لا أمن أمتهم كذاك يخشى بغاة السوء من سهروا
إذا الظلام حواهم في مساربهم فالنور في الليل ذنب ليس يُغْتَفرُ
لا يرحم الله عهدًا كان آمنه حربًا على الأمن لا يُبْقِي ولا يذرُ
من كل باغ له في الشر ألف يد لو قُطِّعت كلها لم يُجْزِهِ القدرُ
ينعى على الشرف العالي مفاخره وينثني وهو بالآثام مفتخرُ
قالوا «النظام!» وطافوا حوله نُذُرًا شاه النظام وشاهتْ تلكم النُّذُرُ
بئس النظام الذي تعلو بقمته نفاية في حضيض الذلّ ما ظهروا
تسللوا شِيَعًا في كل ناحية كأنهم منسر في الأرض منتشرُ
ظلم ولؤم وإتلاف ومفسدة وسطوة وقلوب كلها خورُ
الله في عون مصر من رذائلهم كم أجرموا في نواحيها وكم فجروا
لو أنصفوا كان سجنًا دار ندوتهم يحمى المهارب منها حارس عَسِرُ
نَصُّوا الشرائع فيها للعقاب بها وهم لكل عقاب زاجر وطرُ
ما كان خارجها جانٍ أضرُّ على بلاده من جُنَاة عندها حشروا
قالوا: انتخاب! فقلنا: إيِ نعم صدقوا هو انتخاب لمن خانوا ومن غدروا
هو انتخاب، أجل! بل تلك غربلة وهم هنالك في غِربالها وضرُ
لا تدخلوها إذا جئتم بساحتها إلا إذا غُسلت ألفًا وتعتذرُ
فازوا بمال وقد فزتم بأنفسكم ربحتمُ أنتم العقبى وهم خسروا
عرفتم الخطة المثلى بتجربة وراء تجربة تمضي وتندثرُ
وفي التجارب من حق ومن عِبَر فما لهم ما وعوا حقًّا ولا اعتبروا
آن الأوان لمصر أن تجدَّ على مناهج السعي لا زيغ ولا غررُ
قويمة الخطو لا التيه الذي نصبوا يُثْنى خطاها ولا الجب الذي حفروا
على الصراحة إن ودَّت وإن نفرتْ ويستوي بَعْدُ مَنْ وَدُّوا ومن نفروا
هيهات تحجب عينيها براحتها إذا اتقوا نظرة منها لما ستروا
شِعَارها ذاك فليحمل نظائره من يبتغي ودها تنفعهم الشّعرُ

* * *

يا فتية النيل هذا النيل مستمع ومصر ناظرة والشرق منتظرُ

صونوا لمصر تراثًا من أوائلها وثروة من ثراها الحُرُّ تُدَّخَرُ
ووفِّروا من قواها كل ما وفرت من الضمائر في الجُلَّى وما تِفِرُ
وعلِّموا علمها من ينفعون به سيان في العلم ذو مال ومفتقرُ
ويسروا من صناعات الأكفِّ لها ومن فنون بها الأرواح تزدهرُ
أمانةٌ تلك في أعناقكم عَظُمَتْ وبالأمانة فليعظُم من اقتدروا
فباركوا شعبكم وادعوا بدعوته واستبشروا ومُروا بالحق وائتمروا

دار العمال

أُلْقِيَتْ في دار العمال عند افتتاحها في صيف سنة ١٩٣٥:

حيِّ «دار العمال» بالإقبال وتَرَقَّب لها بلوغ الكمالِ
وانتظر رافعي الدعائم حتى يرفعوا بيتهم عزيز المثالِ
رفعوا أمس ما علا من صروح ولهم في غد صروح عوالي
ولهم في غد من الأمر قِسْط من يكن مؤمنًا به لا يُغالي
أيها العاملون لبَّيكم اليو م ولبَّيكم غدًا في المجالِ
نعمَ جيش السلام أنتم إذا ما جرَّد البغيُ جيشه لاغتيالِ
لكم العدة التي ما استطاعت أمة قد تركها في نزالِ
ولكم أذرع شداد وأيدٍ من حديد وأظهر من جبالِ
ولكم في اتحادكم رأس مال إن فقدتم ذخائر الأموالِ
ولكم صيحة يهاب صداها سادة في نفوسهم كالموالي
فابلغوا بالوئام والصبر ما لا يبلغ المرجفون بالأهوالِ
لا يسخِّركم المسخِّر جهلًا وانبذوا كل عاطلٍ مكسالِ
حبذا الناس يعكفون على الأعـ ـمال حتى ذوي الغِنَى والملالِ

* * *

لا يكن من بَنِي الكنانة باغٍ يملأ الناسُ دوره وهو خالِ
ويكيل النُّضار وهو دماءٌ جُمِعَت من مصارع الآجالِ

كيف ترعى عناية الله أرضًا   باء فيها المُجِدُّ بالإقلالِ؟
ينسج الخزَّ والحرير ويمشي   حافيًا في الرقاع والأسمالِ
ويشيد القصور وهو شريد   في زوايا الكهوف والأطلالِ
ويُدِرُّ الغِنَى وما في يديه   شِبْعَةُ الوالدين والأطفالِ
يهب المترفين عمر فراغ   وهو باكي الأيام باكي الليالي
ذاك ظلم نُعِيذُ بالله مصرًا   من أذاه في مقبل الأجيالِ

* * *

أيها المنقذون بِنْيَة مصر   من فتور ومن ضنى أو كلالِ
أنتم الكف والذراع وأنتم   قوة في يمينها والشمالِ
حظكم حظها من العلم والصحَّـ   ـة والبأس والحجى والخصالِ
كلما نالها نصيب من الخيـ   ـر فأنتم لكم نصيب تالي
أعجب الناس عامل في بلاد   صاح فيها: ما للبلاد وما لي؟
لا تقولوا العمال حسب وأنتم   في بلاد تموج بالعمالِ
إن مصرًا تنال من غاصبيها   أجر بخس وخدعة ومطالِ
وهي أرض للواغلين عليها   سطوة أشعبية الإيغالِ
كل من في جوانب النيل عانٍ   مستغَلٌّ الجهود والآمالِ
كلهم غارس لآخر يجني   ثمر الماء والثَّرَى والرجالِ
وإذا ما تفرقوا طبقات   جمعتهم جوامع الأغلالِ
وإذا قيل مُوسِر وفقير   فقصاراهما إلى استغلالِ
حققوا الأمر ما قضية مصر   بعدُ إلا قضية العمالِ
فاعملوا جهدكم لمصر جميعًا   واتبعوا خطة الهدى لا الضلالِ
ما لكم منصف ولا لبنيها   منصف قبل يوم الاستقلالِ

تأملات

حَيَوَات كثيرة لا حياة واحدة

أرى الحيوات والأيام شتَّى　　　وأنت الدهرَ في كون جديد
أتحسب أنه شيء وحيد　　　إذا سميته باسم وحيد؟
فلا تخشَ التناقض في كلام　　　عن الدنيا ورأي في الوجود
فإن الصدق مفترقًا لأَوْلَى　　　من التلفيق في جمع الشهود

حكمة الجهل وجهل الحكمة

حين قال المعري:

وأعجب مني كيف أخطئ دائمًا　　　على أنني من أعرف الناس بالناس

كان من الحق ألا يعجب هذا العجب؛ لأن الكريم يُخْدَع كما قال العرب قديمًا، والإنسان إنما ينخدع بالناس؛ لأنه كثير العطف لا لأنه قليل المعرفة، وإن أقل الناس معرفة ليتقي الخداع إذا كان مع ذلك قليل العطف والشعور، فليس أسهل من أن يغلق المرء أبواب نفسه، ويحجب ما بينه وبين العالم إذا كانت نفسه مُغْلَقَة بطبعها أو كان لها منفذ محدود.

والحوار الآتي حوار بين رجلين: أحدهما حريص يزعم أنه آثر الشُّح والأنانية لِسَعَةِ عقله، والآخر يحسب هذا الحرص فقرًا ويحسب اللجوء إليه ضرورة:

ألم أقل لك مهلًا	فالناس لؤم وشرُّ
لا تُولِهم منك عطفًا	فهم من العطف صفرُ
لو كنت تعلم علمي	لما أصابك ضرُّ
نعم نعم قلت هذا	إني بذاك مُقرُّ
وأنت عندي طفل	وأنت عندي غِرُّ
وما لقولك وزن	ولا لنصحك شكرُ
أنفقتَ عطفك قبلي	وذاك يا صاحِ فقرُ
كم حكمة هي جهل	وغفلة هي فخرُ

حب الإنسانية

لا يكون حب الإنسان حبًّا عظيمًا إلا إذا فاض من طبع زَاخِر، وقلب رحب، ونفس واسعة الآفاق، أما الحب الذي منشؤه العجز عن النكاية وقلة الحيلة، فذلك حب ضرورة لا عظمة فيه:

قد جرب الناس فألفاهم	للبُغْضِ أهلًا كلهم أجمعين
فضاق عن بغضائهم ذرعه	ولم يجد عزمًا به يستعين
فارتد يهواهم ويحصي لهم	أعذارهم وهو كظيم حزين
فيا له حبًّا لمن رامه	أرخص من بغض العدو المبين
لو لم يكن في حبهم مكرهًا	لعاضهم منه بجزٍّ الوتين

شكر اللؤماء

جزاكم الله خيرًا   يا معشر اللؤماءِ
عودتموني صبرًا   على ضروب المراءِ
وكنت أجفل منها   إجفال باغي النجاءِ
وكنت أحسبها من   عجائب الأشياءِ
فاليوم أعجب ممن   يقضي حقوق الوفاءِ
من يألف السم يُعصم   من لدغة الرقطاءِ

مسألة ذوق!

لا تُصلح الأرض يا صديقي   إن كنت من عاشقي الجمال
فكل ما كان من صلاح   فيها نشوز أو اختلال
دعها على حالها تدعها   في خير حال أو شر حال
مجموعة الشمل في طراز   منسوقة الشكل في مثال
وإن أردت الصواب فامسخ   ما كان فيها من اعتدال

بعض التفاؤل

من المتفائلين مَنْ يضحك للحياة كما يصفق المرء للرواية السخيفة؛ ليقنع نفسه أنه لم يضيع الليلة عبثًا، ولم يؤد أجرة الدخول في غير طائل:

والله ما هتفوا لك   ولا استطابوا دخولك
يا مسرح الكون رفقًا   بهم وعَجِّل أُفُولَك
لو لم يؤدوا رسوم الدُّ   خول ما صفقوا لك
تسلِّيًا لا سرورًا   يقرِّظون فصولك
لو يدفع الغيظ غرمًا   إذًا لشقوا طبولك

صيام الفكر

دع اليوم زاد الفكر في صفحاته   أنا اليوم عن زادي من الفكر صائم
وقد يهجر العقل الكتاب تدينًا   كما تهجر القوتَ الجسومُ الطواعم

العلم والحياة

إن أنت لم تفقهم الحياة فكن   حيًّا فتغنى بها عن الفهمِ
ما العلم مغنيك عن محاسنها   وهي غناء كافٍ عن العلمِ
وكل علم لم يَحْيَ صاحبه   أحب منه جهالة العجمِ

إن لم تكن متفائلًا فكن حجة للمتفائلين

قلبي إذا غالبه رَيْبُه   في آنة فهو بعذرٍ قمين
شكوت من بعض الحياة الأذى   وما لها عندي شكاة تشين
إن ألقَ منها الشر لقَّيتها   خيرًا وإن خانت فإني الأمين
حسبي غفرانًا لريبي بها   أني فيها من دواعي اليقين
أجني مرير الشك منها وبي   تؤكد الإيمان للآخرين
إن زارنا فحقٌّ وإن   زال بنا الريب فحق مبين

الشعر دار لا دير

الشعر باب الحياة عندي   لا مهربي من حياة جدي
لم أقصد الدير من حماه   وإنما الدار منه قصدي

قصد الطبيعة

سنة بين قرها ولظاها والغواشي من ليلها وضحاها
سنة! والعناصر الهوج يَقْظَى في سمواتها وتحت ثراها
تنسج الماء والهواء وشيئًا من سناها ونفحة من شذاها
لنرى في صباح يوم بهيج زهرةً يشهد المساء مداها
أيها المؤمنون بالقصد هاكم من أصول الحياة قصد هداها
أيها الواثقون بالعمر مهلًا إنما العمر زهرة في نداها

على البعد! إن كان لا بد من البعد

يا حكيمي وعليمي والذي يعرف الأسرار عرفانًا شديدا
لا تقل لي إنما حسن الدنى خدعة تفتن من كان بعيدا
إن يكن ذاك صحيحًا فابتعد وانظر العالم تنظره رشيدا
وتكن في الحق أدرى بكلا جانبيه وتعش فيه سعيدا
أنت مخدوع عن «الأحسن» إن عشتَ «بالأسوأ» ترعاه وحيدا
والذي تزعمه ذا غرة هو أستاذك إن كنت مفيدا
جهل الأسرار وانقاد لها فوعاها كلها وعيًا شديدا

الجنس

أيما لفظة جرت من فم المرأة امرأة
تشتهي الزوج من فئة والأخلاء من فئة
ليس بالجسم وحده يعرف «الجنس» منشأه

ميزان الرجال

سنجات[1] ميزان الرجا ل نقصت وزنًا بعد وزن
حتى رأيت الكِفَّة الـ ـكبرى خلتْ ظهرًا لبطن
فإذا وزنت فلا رجا ل سوى التشبه والتظني
ما كان يغنينا التما م فبات عُشْر العُشْر يغني

ذكرى الموتى تُحْيِي الأحياء

لا تظلموا الموتى أمانتهم إن الحقوق لمستحقيها
أَنَضِنُّ بالذكرى على مهج تركت لنا الدنيا وما فيها
برًّا بنا إن لم نبرّ بها فالذكر يُحيينا ويُحييها

الاستعمار

حجة المستعمرين أنهم يفتحون البلاد لضيق أوطانهم عن أبنائها، وهؤلاء المستعمرون هم أنفسهم الذين يجزلون المكافآت ويخلقون المزايا الاجتماعية لتشجيع النسل، وزيادة الذرية، كأن أوطانهم مقفرة من السكان!

ضقتم بأولادكم ذرعًا فما لكمو ترعون كل أب في الحي ولادِ!
لو صح مذهبكم قامت شرائعكم لمَنْ نما ولدًا فيكم بمرصادِ
ولاغتدى كل ميت بينكم بطلًا مُشيَّعًا بحفاوات وأعيادِ
وقيل مَنْ عاش شرًّا فهو محتسب ومَنْ حمى الناس فهو الآثم العادي
لعل ذلك يُغنيكم ويمنعكم غزو الديار وسلب الجائع الصادي

[1] سنجات: جمع سنجة، وهو ما يوضع في كف الميزان ليوزن به.

تفاؤل وتشاؤم

ليس بالزاهد في دنـ　　　ـياه مَنْ يقسو عليها
من قسى يومًا كمن با　　　ت على شوق إليها
هكذا من يشتهي معـ　　　ـشوقة في حالتيها

العشق المهتدي

اعشقْ جمال البرايا　　　نماذجًا لا فُرَادَى
تبلغ مدى الحب معنًى　　　ولا تضل مرادا

اشتراكي يعلل الربيع

لكل شيء علة مادية أو اقتصادية عريقة الأصول عند الاشتراكيين، وكل مخالف لهم فهو متهم مأجور، وإن لم يدر أنه متهم مأجور! ومن ورائه مكيدة للمستغلين وأصحاب رءوس الأموال، وهم عدد قليل يستأثر بأعمال العدد الكثير من الناس!

وما القول في جمال الطبيعة وفتنة الربيع؟

هما أيضًا مكيدة «رأسمالية» إن صحت الرواية الآتية!

رفيق أول:

إن الربيع جميل　　　صه! ذاك قول دخيل

رفيق ثان:

ألست تعلم أن الرَّ　　　بيع شيء ثقيل
وأنه من صنيع　　　للغش فيه أصول

رفيق أول:

مَنْ غشه يا صديقي؟

رفيق ثان:

حقًّا لأنت جهول
قد غشه الأغنياء الـ ـمستأثرون القليل
أليس فيه متاع لهم وظل ظليل؟

رفيق أول:

لكن بعيشك قل لي وذاك مني فضول
بأي برهان صدق وأي شرح يطول
قد أقنعوا الأرض حتى باتت إليهم تميل؟

رفيق ثان:

حقًّا لأنت عجيب فيما أراك تقول!

رفيق أول:

برشوة دفنتها في جوفها يا زميل
ألا ترى التبر فيها منها إليها يئول؟
فافهم إذن يا صديقي فقد أتاك الدليل
وأيَّدتْه شهود وأكدته عقول
الأرض والشمس والنا س والدُّعاة العدول
لهم ضمائر سوء مرضى وطبع وبيل
بذاك «ماركس» أفتى ونقضه مستحيل!

درجات الفضائل

لا تـقـل فـاجـر وبَـرٌّ ولـكـن   قل هو الصدق والمِرَاء صنوف
رب حـق فـيـه نـفـيـس ومـرذو   ل ومَـينٌ يرجى ومَـينٌ يـخـيـف
إنما الفاضل الذي فضله في الـ   ـخـير والـشـر فـاضـل وشـريـف

الإباحية الحديثة

تعرى الناس لا حبًّا لعرى   ولكن أنكروا الطمر القديما
فمن عاف التكشف فليجئهم   بـجـلـبـاب يـزيـنـهـم سـلـيـمـا

ربيعيات

الفاكهة المحرمة

إذا نهيتَ إنسانًا عن الخمر، فشربها للذتها وهو يؤمن بأنها حرام؛ فالمسألة هنا هي مسألة الخمر، والقوة المتمثلة هنا هي قوة الإغراء على الشراب.

أما إذا نهيته عن الخمر فشربها؛ لأنه لا يؤمن بحقك في نهيه وأمره؛ فالمسألة هنا هي مسألة السلطان والرغبة في تحديه، وليست الخمر إذًا إلا مظهرًا للنزاع بين الآمر والمأمور.

والفرق بين تهتك العصر الحديث وتهتك العصر القديم هو هذا: هو أن المُتهتِّك القديم كانت تغلبه لذة الشيء المنهي عنه، أما المتهتك الحديث فتغلبه شهوة التمرد والجموح:

فاكهة الجنة الحرام	ما زالت معشوقة الأنام
تناولوا من جناك حينًا	شوقًا إلى لذة الطعام
واستطلعوا السر منك حينًا	والسر أمنية ترام
وذاق منك التقاة حينًا	ليفثئوا صورة الصيام
وهاجمتك الغزاة حينًا	هجمة صيد أو اغتنام
أما بنو عصرنا فبدع	في غزوهم ذلك المقام
فما ابتغوا لذة ولا هُمْ	طلاب سر أو التهام
لكنهم قاربوك كبرًا	وأولعوا فيك بالملام
تحديَ الحارس المغالي	وشهوة السبق في الزحام

أزهار الذكرى

قطفت أزاهر الذكرى أصيلًا فصوَّح حسنها قبل العشيِّ
فبِتُّ أضاحك الأفلاك سخرًا وأرثى للذَّكور وللنسيِّ
إذا ما كان هذا عمر حبي فيا بؤس الغرام الآدميِّ

* * *

وصاح الحب لا تعجل فإني كما نُبِّئتُ من طفل ذكيِّ
ضع الأزهار في ماء، وجدد روافدها من الشجر الجنيِّ
تعش ما شئت في حسن نضير وفي أمن من الهجر الخفيِّ

* * *

نعم يا حب أنت على صواب فيا لك من وليد عبقريِّ
وضعتُ الزهر في الماء المُصَفَّى وعدت إليه بالرفد الزكيِّ
فرفرف للحياة وطال عمرًا وطاول عهده عهد وفيِّ
نعم يا حب أنت على صواب وعندك حكمة الخلد الصبيِّ
فلا ماض يدوم بلا جديد ولا حيٌّ يعيش بغير رِيِّ
إذا مات الغرام بلا طعام فتلك طبيعة في كل حيِّ

ابنا النور (الزهر يخاطب الجوهر)

يا جوهر الحسن لا تضعني لديك بالموضع المهان
فالزهر والجوهر المصفى صنوان في النور توأمان
أشعة النور في يدينا وديعة أو وديعتان
لكننا بيننا اختلفنا يا جوهر الحسن في الصِّيان
تصونها أنت من بعيد بالسيف والرمح والسنان
ولم تزل في يدي كنزًا يُصان بالعطف والحنان

ومعدن النور فيَّ حي   وفيك معنى الحياة فان
فيا زمانًا بلا حياة   إنِّي حياة بلا زمان
كلٌّ له من أبيه حظ   ونحن بالحظ راضيان

عودة الكروان

مرحبًا أيها البشير ومرحى   بعد طول السكوت ليلًا وصبحا
جاءنا رائد الكراوين في جنـ   ـح من الغيب يفتح العام فتحا
فإذا الليل خافق، وظلام الـ   ـليل طلق آية الليل فصحى
وغنمنا عامًا من العمر لما   عاد ماضي الربيع والأرض فرحى
والربيع الجديد يدني إلى الما   ضي شبابًا ويربح العمر ربحا
كلما زاد بالمواسم عدًّا   خلته قل بالحياة وصحًّا
فكأن الربيع معنى قديم   في طويل الزمان يزداد شرحا

* * *

مرحبًا بالبشير بل ألف مرحى   قد سمعناك فاملأ السمع صدحا
واملأ الليل بالنداء على الحبْـ   ـبِ مُصِرًّا على النداء مُلِحًّا
أنت لا شك موقظ منه وَسْنَا   نًا معيد له إذا ما تنحَّى
قد سمعناك بالقلوب وصدقـ   ـناك فاسبح بحمد دنياك سبحا
لست بالمادح المريب فلولا   فتنة في الحياة ما قلت مدحا

* * *

مرحبًا بالذي إذا ارتجل السا   عة أوحى في النظر ما ليس يوحى
المعيد الزمان جيلًا فجيلا   وهو في ضحوة من العمر أضحى
أبدًا مذكري وإن نشأ العام   عهودًا من سالف العمر مرحى
أنت ذكرى وأنت بُشرى فهيها   ت لقلب عن أي نهجيك منحى
لك لمح كالبرق في عالم الصو   ت يشق الظلام جنحًا فجنحا

ويـريـنـا الـحـيـاة وهـلـة حـلـم   تـنـجـلـي عـالـمًـا، وتـعـبـر لـمـحـا
أمـة الـطـيـر لا عـدمـنـا نـصـيـحًـا   مـنـكـم يـبـهـج الـخـواطـر نـصـحـا
مـؤمـنًـا بـالـرجـاء يُـزجـي إلـيـنـا   من رجاء ما غاب حينًا وشحًّا
داعـيًـا لـلـحـيـاة لـم يـألُ نـضـحًـا   مـن مـزامـيـرهـا ولـم يـألُ نـفـحـا
أنتم من مراجل الشوق فيها   شـرر يـقـدح الـضـمـائـر قـدحـا
تطلبون الجمال كالعاشق المطـ   ـلوب لا كالأثيم يطلب صفحا
كل من بشروا من الناس بالخيـ   ـر عيال على العصافير طلحى
لا ترى الشك في سرور ومنها   كل يوم قتلى شرور وجرحى

***

زعموا البوم نائحًا ظلموا البو   م فلم يشك في الخرائب برحا[1]
إنـمـا كـان مـغـرمًـا يَـتـغـنَّـى   أو مجدًّا يغالب العيش نجحا

فصل الحب

هـنـاك سـنـبـلـة فـي كل نـابـتـة   وهـا هـنـا ريـشـة فـي كل مـنـقـارِ
قضى الزمان حقوق الزهر وابتدأت   حـقـوق فـاكـهـة تـنـمـي وأثـمـارِ
فالغصن والطير هبًّا يلقيان معًا   بـنـيـهـمـا بـيـن أكـمـام وأوكـارِ

عزاء

قلت للقلب كيف حسن العزاء   بعد فقد الصحابة الأوفياء؟
قال لي القلب وهو يزعم أن لم   يـتـبـدل شـيء مـن الأشـيـاء

[1] البرح: الشدة والأذى.

كل شيء كعهده لا جبال الـ أرض غارت ولا نجوم السماء
قلت يا قلب قد صدقت ولكن بلغ الصدق منك جهد الرياء
إن يكن ذاك خير ما أنت فيه من عزاء، فذاك شر البلاء

يومنا

يومنا عاد، فهل تعرفه؟ شد ما رعرعه العام السريع؟
شد ما غذته في نشأته قبلات تشبع الحب الرضيع
هي تنمي حين تغذو طفلها وهي تنمي طفلها حين تجيع

* * *

سنة كانت ربيعًا كلها بين روضٍ يتغنى ويضوع
زهرها ناهيك من زهر، فإن أنبتت شوكًا، يكن شوك ربيع
حبذا الشوك من الحب ولا حبذا من غيره العشب المريع

* * *

غُضَّ عينيك قليلًا واستعِدْ خطوات العام في الأفق الوسيع
كم ترى من خفقة غَنَّتْ بها ساعة العمر التي بين الضلوع
كم ترى من قبلة رنت بها تلكم الساعة؟ قل لو تستطيع!
كم ترى من نشوة حامت بنا حول عِلِّيين والعرش الرفيع
إن يطل شرح المعاني فاختصر كل ما فرقت في معنى جميع
هو «حب» فإذا فرقته فهو ما راع قديمًا ويروع
هو حب واحد لكنه شائع كالنور من حيث يشيع
لم يكرر قط في ترداده كل ترداد له خلق بديع
فإذا عشت له عشت به في بواكير من العيش الينيع
أين يمضي بك يا يومُ السرى وعنان الحب يا يوم مطيع؟
طفت ما طفت وساقتك لنا صحبة إن ضاع شيء لا تضيع

وعلى العهد مدى العمر هنا نحن يا يوم ومأواك منيع
أبدًا نلقاك والحب معًا ها هنا بين مُضِيٍّ ورجوع

حذار!

قلت للحب تجرد لمحةً من كناناتك وادخل بسلام
قال لا تخشَ فإني قادم غير ما عادٍ ولا باغي خصام
ثم أمسينا وبي من طعنه حرقات داميات وسمام
قلت: من أين سهام مزقت ذلك القلب فأمسى لا ينام؟!
قال: من ريشي إذا الريش نما ومن الوهم إذا جن الظلام

* * *

يا أمين القلب لا تأمن له حول مغنانا ولا ترع الذمام
أنت إن عرَّيته من ثوبه نبتت من جلده تلك السهام
ومن الوهم لديه عدة قصفت شكتها كل حسام

مرقص الشجر أو جنون الرقص

عجبًا ما لذا الشجر؟ جنَّ أو مسه سكَر!
ودَّ لو يتبع النسيـ ـم طليقًا من القدر
كل ما فيه راقص ثائر ثورة الخطر
يترامى مرفرفًا ذاهب السمع والبصر!
يحسب اللهو فانيًا أو مجدًّا على سفر
هكذا تصنع الحسا ن مع اللهو والسمر
إن زهتهن فتنة قلن للقلب لا ندر
أو تَذَوَّقْنَ لذةً قلن لا ينفع الحذر

على شاطئ البحر

يا جيرة البحر غوصوا   فـي كـل قـاع بَـرود
ما البحر عنكم بمغنٍ   علـى اطـراد الـورود
جيـرانـه فـي احـتـراقٍ   على اختلاف الوقود
مـا بـيـن لـمـع سـمـاء   وبـيـن لـمـع خـدود
فـلا نـجـوا بـقـلـوب   ولا نـجـوا بـجـلـود

القمراء

إن في القمراء من سحر الصبا   مـسـحـة تـفـتـن عـيـن الـذاكـرِ
تـلـمـح الـعـالـم فـيـهـا مـثـلـمـا   لاح فـي عـيـن شـبـاب بـاكـرِ
بـيـن نـور كـشـعـاع الـمـخـتـلـى   وانـتـبـاه كـنـعـاس الـخـادرِ

إلى ضحية الغيرة

أنتِ مظلومة وما أنا بالظا   لم بل نحن في القضاء سواء
غيرة الحب جرعتنا ظنونًا   لك فيها ولـي كذاك شـقـاء

على البحر

حبذا البحر من قويٍّ غرير   كاغترار الصبا بغير حسابِ
نفث النوم في جنوني وزَجَّى   سكرات الأحلام في أعصابي
نمتُ ليلي عليه نومة موتَى   وتـيـقـظـت يـقـظـة الأربـابِ

أجمع الموت والربوبة تخرج　　من معانيهما بمعنى الشبابِ

الشتاء والربيع

كل بـادٍ يـريـد أن يـتـوارى　　في الشتاء المُغلَّف المسدود
كل خـافٍ يريد أن يتجلى　　في الربيع المزخرف المشهود
هات لي العالم الصريح ودعنا　　من حياة خجلَى وطبع برود

في القمر

في الليلة القمراء ما أحلى النظر!　　لـكـل شـيء لاح فـي ضـوء الـقـمـر
حتى الثرى، حتى الحصى، حتى الحجر

* * *

لـيـسـت مـن الآجُرِّ هـاتـيـك الـبـنـى　　لا بـل خـيـال مـن ظـلام وسـنـى
كـخـيـلـة الأشـكـال فـي الـسـحـب لـنـا

* * *

أكـاد عـنـد رؤيـتـي طِـلَاءهـا　　أرسـل عـيـنـيَّ لـمـا وراءهـا
كـمـا تـخـوض نـظـرة قـضـاءهـا

* * *

قد شف بالصخرة مصباح الدجى　　فـكـيـف بـالـنـفـس وكيف بـالـحـجـا
عـاش عـلـى مـر الـلـيـالـي مـسـرجـا

حيرة

لك الله يا حب من حيرة　　تهد القوى وتبُتُّ الأجل
أرى الحيوان سعيدًا به　　وإن الشقيَّ به من عقل
أترضاه فوق منال الظنو　　ن وما فوقها فهو فوق الأمل؟
وإلا فكيف تطيق الظنو　　ن وأهون ما في الظنون الخبل؟

هدية

في الروض رمان وكُمَّـ　　ـثرى تغازل منك ثغرا
فيم استبحت ذمارها　　فهصرتها بالراح هصرا
أمن القلوب حسبتها　　فعلوتها قطعًا وبترا
لا تشك من عدل الجزا　　ء إذا أصابت منك ثأرا
جرحتك حين جنيتها　　فاعرف لها ذنبًا وعذرا

***

ثمر الرياض! تعال يا　　ثمر الرياض! جُزِيتَ عشرا
آليت لا لُبًّا تركـ　　ـت ولا تركت عليك قشرا
خذ هذه؟ خذ تلك؟ ها　　ت اللب هات القشر مُرّا
أتعضه شوقًا إليـ　　ـه ومهجتي بالشوق حَرَّى
لا غرو تستحلي المذا　　ق فأنت بالحلواء أدرى

***

نعم الثمار أحبها　　نظمًا كما اتفقتْ ونثرا
أهديتنيها من ريا　　ضك زنت يا روضي فشكرا
فاضت على قلبي هوًى　　وجرت على شفتيَّ شعرا

العيش جميل!

صفحة الجو على الزر قاء كالخد الصقيل
لمعة الشمس كعين لمعت نحو خليل
رجفة الزهر كجسم هزه الشوق الدخيل
حيث يممت مروج وعلى البعد نخيل
قل ولا تحفل بشيء إنما العيش جميل!

متاع جديد

من جديد المتاع يوم خريف تحت وهج السماء عاد ربيعا
ومحيا في الأربعين وديع تحت بث الغرام شب سريعا
نضح القلب بالجمال فسوى من ثنايا الغضون وجهًا بديعا
ذاك أحلى من الشباب شبابًا ومنى النفس ما يعز رجوعا

متفرقات

تكريم

أُلْقِيَتْ في الاحتفال الذي أقامه أبناء أسوان المقيمون بالقاهرة؛ تكريمًا لصاحب السعادة إبراهيم عامر باشا، الذي تبرع للدفاع الوطني بخمسة آلاف جنيه، وكان أسبق المتبرعين، وقد أُنْعِمَ عليه برتبة الباشوية، وأُقِيمَ الاحتفال لهذه المناسبة:

بلدة الشمس والجبال	كيف لا تنجب الرجال؟
أنجبت مثل عامر	وهو في الهمة المثال
الذي في جهاده	سبق القول بالفِعَال
والذي كان أول الصـ	ـف في حومة النضال
عندما نُودِيَ «الدفا	ع» بدا فارسَ المجال
وتلا مَنْ تلا وصا	ل بنو النيل حيث صال
أشجع الناس باذل	هزم الشح والمطال
كرم النفس كالشجا	عة من أندر الخصال

* * *

يا بني موطني! وأنـ	ـتم على ذروة القلال
كَرِّمُوا الذروة التي	رفعت هامة الهلال
رفعت أَرْؤُسًا وطا	لت مع المجد حيث طال
واحمدوا في احتفالكم	أجدر الناس باحتفال

العصاميّ في الغِنَى والعِظَاميّ في الخلال
والذي جد وحده فشأى عصبة الرجال
والذي كل درهم في تجاراته حلال
زانه الله بالأما نة والصدق في المقال
والمضاء الذي يجدّ ولا يعرف الكلال
والنظام السويّ في غير ضيق ولا اختلال
يتبع المال صاغرًا من له العزم رأس مال

* * *

لقب حازه وكم حازَ من قبله ونال
لم يزد فضله به فهو ذو الفضل لا جدال

* * *

كَرِّمُوه تكرموا خير دار، وخير آل
إن أُسْوَان ما خلت قط من معدن الكمال
صخرها جوهر الخلو د وأنموذج الجمال
وبنوها وأنتمُ من بَنِيهَا بخير حال
لكم المجد لا يزا ل من الأعصر الخوال
إنما المجد بالعلا لا جنوب ولا شمال

* * *

يا صديق ويا ابن قو مي وجاري على اتصال
أقرب القرب بيننا شِيمَة فيك لا تُنال
شيمة النُّبْل في استقا مة طبع وفي اعتدال
شيمة العزة التي لا يُغالي بها اختيال
إنها جيرة لها أبعد الناس مستمال
لا تزل غانمًا بها هانئًا في هدوء بال
يَرتضي سعيك المَلِيـ ـك ويرعاك ذو الجلال

وحـــوالـــيـــك دولـــة من مـحـبـيك لا تـدال
تـتـلـقـاك نـعـمـة أبد الدهر في اقتبال

نداء طفل

أُرْسِلَتْ إلى عروسين:

ســـرى إلـــى الآذان في غـفـوة الـوسـنـانِ
نـداء طـفـل جـريء مـسـتـعـجـل لـهـفـانِ
عجبت منه صغيرًا يقول طلق اللسانِ
«أبـي كـريـم وأمـي كريمة في الحسانِ»
كـلاهـمـا فـي رواء من الصبا وازديانِ
كـلاهـمـا ذو فـؤاد مـجـمَّـل بـالـحـنـانِ
كـلاهـمـا يـتـمـنـى بين الصغار مكاني
فـلـي أحـق رجـاء فـي عـالـم الإنـسـانِ
وفـي ولادة يُـمْـنٍ تُـزَفُّ بـالـمـهـرجـانِ
وفي احتفال ختانٍ وفـي احـتـفـال قِـرَانِ
وفي احتفال نجاح يجوز كل امتحانِ
هيا ادعواني سريعًا إلـيـكـمـا واهـديـانـي
وقَرِّبَا لي ضياء الشـــ ـــمـوس والأكـوانِ

* * *

قالوا: انتظر! قال: لا لا هـيـهـات لـسـت بِـوانِ
قـالـوا تـعـقـل قـلـيـلا يـا أعـقـل الـفـتـيـانِ!
فـكـل شـيء لـديـنـا مـــوكَّـــل بـــأوانِ
أتحسب العيش رهنًا بـمـا قـضـى الأبـوانِ
فصاح صيحة سخط وقـال فـي عـنـفـوان
ما لي أنا؟ أنا ما لي؟ هيا ادعواني ادعواني

أتــأبــيــان لــقــائــي　　ما أنتما منصفانِ

* * *

لا تــعــذلــوه إذا مــا　　أطال في الهذيانِ
فالطفل غير صبور　　على الحجا والبيانِ
والطفل هيهات يدري　　يومًا بحكم الزمانِ
فاستمهلاه برفق　　وحيلة وافتنانِ
ولا تطيلا عليه　　في الغيب عد الثواني
فكلنا نترجى　　قدومه في أمانِ

إلى صديقي موفق جلال في الشهر الثامن عشر من عمره المديد

يا صاحبي يا أصغر الـ　　أصحاب في سن وقدِّ
يا شاغلًا من حيز الـ　　آمال والأحلام عندي
ما ليس يشغله كبار　　ر القوم في قرب وبُعْدِ
أنا عالم أن لست تهـ　　ـوى صحبتي إلا لقصدِ
إلا لحلوى في يدي　　أو لعبة أو هزِّ مهدِ
أو صفحة تعدو إلى　　تمزيقها كالمستعدِّ
أنا عالم ما فيك من　　مكر ونسيان لعهدِ
لكنَّ أوفى الأوفيا　　ء وأين هم في كل عهدِ؟
لا يبلغون مداك في　　شوقي وإيثاري وحمدي
وقبول ما تقضيه من　　عطف ومن تيه وصدِّ
والعض من تلك الثنا　　يا الناشطات إلى التعدي
وطويل حقد لا يطو　　ل هنيهة وقصير حقدِ
وفنون هزل لا تزا　　ل تجد فيها أي جدِّ
وعناد رأي لا يليـ　　ـن ولا يكف عن التحدي
وتغاضب يجدي إذا　　كان التوسل ليس يجدي

أنـــا عـــالــم هــذا وذا ك وبالغ في العلم جهدي
لـكـن أراك سـحـرتـنـي فـإذا بـعـلـمـي زاد ودِّي

* * *

عِشْ يا موفق دائم التـَّـ ـوفيق مقرونًا بسعدِ
مـسـتـمـتـعًـا بـحـنـان أمٍّ بـــرة وأب وجــــدٍّ
حتى نراك تشق مضـ ـمار الدهاء بغير نِدِّ
جـهـد الـحـكـايـة أن تُـدا رِيَ في غد ما أنت مُبْدِ

إلى طبيب العيون الدكتور نصر فريد

قل لآسي العيون نصر فريد قد عرفناك هاديَ الهاديين
رُبَّ عـيـن هـديـتـهـا لـضـيـاء وضـيـاء تـهـديه طوعًا لعين
كل من حـاد مـنـهـمـا قَـوَّمَـتْـه نظرة منك فاهتدى بعد أين
عجبي من زجاجة تنتقيها فإذا الكون مشرق الصفحتين
أين شأن الزجاج من ذاك لولا نور علم يضيء في الخافقين

تحية موسيقية إلى ملك العراق

اقترحتها إحدى الفرق الغنائية لإنشادها في رحلة إلى بغداد:

غازي قلوب الشعب بالكرم والفضل والتدبير والحسنى
غازي العدى بالبأس والهمم حسنت طوالع سعدك اليمنى
أحـيـيـت فـي بـغـداد لـلـدنـيـا عـهـدًا كـعـهـد أخيك مأمون
تـحـيـا وشـعـبـك دائمًا يـحـيـا فـي مـوطـن بـهـداك مـأمـون

* * *

دُمْ يا إمام العرب مشتملًا بالملك في عز وإقبال
واجعل شباب العرش متصلًا في مجده بشبابك الغالي

القلم المسروق

زاملني في السجن ذاك القلم[1] وناله ما نالني من قسم
ومَسَّ من فكري وأسراره ما رامه الناس وما لم يُرَم
فرُبَّ معنًى ما وعاه سوى ريشته ثم انطوى فانحسم
وكم له من حصة تُرتضى فيما جرى من أدب أو حكم
وكم له من نفحة كالصَّبا وكم له من لفحة كالضَّرم
وكم له من زهر مُجتنى وكم له من ثمر مُلتهم
سجَّل ما سجَّل من رحمة أو نقمة مرت بأرض الهرم

* * *

ورُبَّ مسكين قضى حقه وغاشم أحصى عليه اللمم
أعززته عن حلية تُقتنى وصنته عن غاليات القيَم
ولي أخٌ يذكرني بالنعم فقلت أجزي بعض تلك النعم
فلم أجد أنفس منه لمَنْ محَّضَني قلبًا نفيس الشِّيم
قد صان ما أكتب في صدره فغير بدع أن يصون القلم
يظل يستوحيه في كل ما أوحى ويرعاه كرعْي الذمم
رعاه في أمن إلى أن قضى عليه بالفقد قضاءٌ حَتَم
فغاله منه لصوص لهم من كل عين فرصة تُغتنم
في يوم حشر حافل المزدحم ضلت به العين مكان القدم
قد نام عنه لمحة في الضحى فبات في ليلته لم ينم

[1] كان هذا القلم من الودائع التي بقيت في السجن أشهرًا ملفوفة محبوسة كذلك.

* * *

أما وقد فارقتنا يا قلم   وصالح اليأسُ عليك الألم
فخير ما أرجوه أن لا تُرى   في كف خَوَّان ولا مُتَّهم
ولا تخط الجهل في صفحة   «أبيض» ما فيها سواد الحمم
ولا تكن يا قلمي آلة   تشتمني باللغو فيمن شتم
فتنظم الحكمة لي من هنا   ومن هنا تنحى على مَنْ نظم
بدأت في الأوج فلا تنحدر   إلى حضيض الذل في المختتم

شبيه القلم المفقود

شبيه القلم المفقو   د في لون وفي حجمِ
وفي البائع والشاري   وفي الصنعة والرسمِ
ستغنيني إذا استغنيـ   ـت بعد الروح بالجسمِ
أو استغنى بتمثال   فـــؤاد الأب والأمِّ
إذا عزاهما عن را   حل عزى على رغمِ
وقد يسلى إلى حين   وفي السلوة ما يدمي

رثاء

رثاء غانم

كان الأستاذ غانم محمد صديق صاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر، ثم طاف ببعض إخوانه، ورجع إلى بيته، فما استقر لحظة بين أبنائه وآله حتى أصابته نوبة قلبية قضت عليه — رحمه الله — وهو في عنفوان أيامه، فلم تمض بين تهنئته ونعيه غير ساعات:

أكان وداعًا يوم صافحتُ غانمًا … وهنأته بالعيد والعيد يسخرُ!
فيا ويح للداعين في غفلة المنى … يُرَجُّون طول العمر والعمر مُدْبِرُ
ويا ويح للأبناء يا خير والد … وقد رُوِّعوا في وكرهم حين بشروا
أذاك صياح العيد أم أنا سامع … صياح يتامى في الحِمَى تتفطرُ؟
تلاحق في تلك الثغور كلاهما … فيا هول ما نصغي إليه وننظرُ
وددتُ وقد ضن البشير بصدقه … لوَ انَّ نذيرًا بالمساكين يعبرُ
أغانم إني في مصابك ذاهل … قليل التعزي سافر الحزن مضمرُ
بذلت دموعي في بكاك رخيصة … ومثلك من يُبكى ويُرثى ويُذكَرُ
أفي كل يوم تبصر العين غانمًا … ومن أين؟ والأخلاق في الناس تندرُ
عرفت «أبا فتح» تولاه ربه … أخًا في وغى الأيام لا يتقهقرُ
وفيًّا إذا شاع الوفاء وإنه … عليه إذا عز الوفاء لأَقْدَرُ
كريمًا إذا صال العداة وزمجروا … كريمًا إذا خان الصحاب وقصروا
صبورًا على ضَرِّ الغريم وإنه … على الضر من ظلم الصديق لأَصْبَرُ
ضليعًا بأعباء الأمور إذا ونَى … مدبِّر أمر أو أساء مُقَدِّرُ

أخوك «أمين»[1] فرَّق العام منكما   صفيين لم يفرقهما ما يكدرُ
على موعد العام لقصير التقيتما   فليتك من يسهو ومن يتأخرُ
سلام الخصال الصالحات عليكما   وحمد المعالي والثناء المعطرُ
ولا زال في دار المعارف منكما   صنيع على الأيام يروي ويشكرُ

على أطلال الدنيا

إذا انطوت الدنيا لم يبقَ من أبنائها أحد، فليس هناك خسارة، وليس هناك من يشعر بالخسارة.

وإذا شهد للدنيا شاهد بالخير، فإنما يكون هذا الشاهد من أبنائها، وإنما يشهد بما أعطته وأغدقت عليه، وإنما شهادته نفسها عطية من عطاياها وكلمةٌ من لسانها، فليست هي بالشهادة المقبولة.

وإذا حسبنا ما للدنيا وما عليها فالنتيجة صفر؛ لأن النتيجة هي العدم:

قضيت الآن يا دنيا فقري   لمن أرثيك؟ ويحك! لست أدري
فما أنجبت غير ذويك نسلا   وهم تبعوك في أعماق قبرِ
وماذا فيك من ذخر جميل   لعين «المستقل» المستقرِّ
أراك كما اشتهى الأحياء طرًّا   فأما الميتون فلست أدري
وكنت على ضيائك أنت مرأى   وسيمًا في عيون بنيك يسري
فأما الآخرون فما استهلوا   عليك ولا رأوك بعين حرِّ
إليك ومنك من وجدوك حينًا   ومن فقدوك بعد ضياع عمرِ
حسبنا جانبيك على استواء   فيا لك حسبة ختمت بصفرِ

[1] الأستاذ أمين لطفي، وقد توفي أيام العيد قبل صديقه وزميله بعام واحد.